السيد

عودة الإسلام

297:Sa27aA

السيد ، نصر الدين محمد .

297
Sa27aA

Cat. 16 Nov. 53

نصر الدين محمد السيد

297
Sa27a A
C.1

عودة الإسلام

Cat. 16 Nov. 53

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى دعاة الإسلام والمؤمنين بعظمته
إلى الحيـــارى فى مفترق الطرق
إلى المنكرين فى استكبار وجهل
إلى زعماء الكتلتين الشرقية والغربية
أقدم كتابى مبشراً ونذيرا . . . ! !

المجتمع وظواهره

الظاهرة الاجتماعية وسلطانها

الإنسان وهو فرد يخضع فى سلوكه وتصرفاته لغرائزه وميوله ، ولكنه وهو عضو فى جماعة لا يستطيع التصرف والسلوك إلا فى حدود قوانين تفرضها إرادة خارجة عن إرادته ، وعقل مختلف عن عقله ، هو العقل الجمعى أو المجتمع .

وللمجتمع ضغط وسلطان لا يحسهما الإنسان طالما كان متفقاً معه ، فإن حاول الخروج عليه والتصدى له أحس بضغط يتمثل فى عقوبة أو زجر أو إهمال .

سقراط وإعدامه

فهذا سقراط الحكيم اليونانى بعد ما آمن بأفكاره هب مجنداً نفسه لنشر الفضيلة بين شباب أثينا المنحل ، ومجنداً نفسه للدعوة لعبادة إله واحد خلق هذا الكون فأحسن تقويمه ، إله يهيمن على النفوس ويرعاها ، وعلى

للسماء فيرفعها وعلى الأرض فيبسطها . آمن بهذه الأفكار وحده فراح يدعو إليها فى حرارة وقوة ؛ فى الأسواق حيث يجتمع الناس ، وفى الأندية حيث تتكتل الناس ، وفى كل مكان يلتقى بهم . . . ولكن القوة التى تحدثنا عنها والمجتمع بسلطانه وضغطه يقف أمامه ليوجه إليه تهمة إنكار الآلهة وإفساد الشباب ، وتنعقد المحكمة لتحكم على سقراط بالموت مشموماً .

روبرت أوين ونفيه

وهذا روبرت أوين أول من دعى إلى النظام التعاونى ، لما أحس بالخطر يهدد البلاد وبالثورة توشك أن تندلع فتأكل الأخضر واليابس ، وبالرأسمالية تتحكم فى ظلم وطغيان ، وبالعمال يعملون فى غيظ وتربص ، راح يدعو إلى الاشتراكية التعاونية ، وطبق أسسها على نفسه وعمله . لكن المجتمع يتصدى له أيضا بتوجيه تهمة الخروج على الكنيسة وقلب نظام الحكم ، وتنعقد المحكمة لتحكم عليه بالنفى .

اينشتين والإهمال لغته

وأينشتين لما أحس بأن اختلاف اللغات واللهجات من عوامل بطء سير العلوم، ومدعاة لضياع الوقت الكثير على الإنسانية فى تفهم المصطلحات العلمية، ونقلها من لغة إلى لغات، راح يبحث عن طريقة تجنبه هذه العقبة، وعن منهج يعفيه من هذا المجهود الضائع فى الفهم والترجمة.. فهداه تفكيره إلى اختراع لغة عالمية تكون بمثابة القاسم اللغوى المشترك بين كل الأمم والممالك. لكن المجتمع تصدى لهذه اللغة وحكم عليها بالإهمال فأهملت وضاع مجهود أنيشتين نفسه.

وأنت أيها القارىء الكريم ماذا يكون نصيبك لو خرجت يوما لابساً قبعة على جبة وقفطان أو جبة بنصف كم؟ لا شك أنها السخرية تنتظرك بمجرد الخروج من المنزل حتى العودة إليه. ثم ماذا تحسه فى نفسك لو تصورت أنك قمت بهذا الضرب من السلوك؟ لا شك أنك ستحس بأعين الناس كأنها الرصاص المصوب إليك، وأن همس الناس كأنه الرعد يقصف فى أذنيك، وإن لم يرك

إنسان فلا شك أنك ستحس بأن ثمة قوة خارجة عن إرادتك تطاردك وأن ضغطاً عليك يكاد يخل توازنك .

نتائج خطيرة

أولا : والآن فلأن كانت فى دعوة سقراط استقامة وقوة ، وفى آراء أوين إصلاح وتقويم ، وفى لغة أنيشتين ما يوفر على الإنسانية مجهودا هى فى أشد الحاجة إليه ، وفى تصرفك فى ملبسك حرية إلا أننا رأينا إعداماً ونفياً وإهمالا وسخرية ، الأمر الذى نستطيع أن نقرر معه أن الإنسان فى مجتمعه إنما يخضع لعقل مختلف عن عقله . إنما يخضع للعقل الجمعى . وأن لهذا العقل الجمعى سلطانه وصفته ، وأن له ظواهره الخاصة به ، والتى تختلف اختلافا تاماً عن ظواهر الإنسان النفسية وأحكامه الخاصة . ولا غرو فلكل من الأكسوجين والإيدورجين خصائصهما وصفاتهما فإن اتحدا كونا الماء عنصراً جديداً مختلفاً فى صفاته ومميزاته عن عنصريه المكونين له . وإذن فالظواهر الاجتماعية أحداث لها استقلالها وذاتيتها وقوتها .

ثانياً : الشذوذ فى الظواهر الاجتماعية

والظواهر الاجتماعية سوية وشاذة . والشذوذ هنا ليس مرده حكم الفرد ورأى الفرد وقياس الفرد ، إنما مرده عمومية وجودها سوية فى مجتمعات معينة من عدمه . فالظواهر السوية هى ما توفر لها الوقوع فى مجتمع ما بغض النظر عن مخالفة الفكر الشخصى لها . والظاهرة الشاذة هى ما لم يتوفر لها ذلك ، بصرف النظر عن موافقة رأى الفرد عليها .

فمثلا يحدثنا تاريخ القانون أنه سادت انجلترا فى القرن الثامن عشر قوانين خاصة بمحاكمة الحيوان وتوقيع العقوبة عليه وتدوين المحاكمة والعقوبة فى محضر الجلسة . كذلك انتشرت فى فرنسا ظاهرة توقيع العقوبة على التمثال فمثلا إن فر مجرم واختفى عن وجه العدالة صنع له تمثال ووقعت العقوبة عليه ، وبذلك تسقط العقوبة عن المجرم الأصلى .

وثمة نظم فى الزواج لا تزال منتشرة بين قبائل أمريكا وجزيرة مدغشقر نظم بعيدة كل البعد عن الانفعالات الجنسية والتفكير الفردى، فمنها مثلا أنه عند سن معينة تخرج

الفتاة مع عشيق لها فى كوخ يبنى فى الغاب بعيداً عن الأنظار وتعيش معه عيشة الأزواج فى أوضاع خاصة تحددها طقوسهم وتقاليدهم لمدة معينة ، فإن انتهت المدة افترقت الفتاة عن عشيقها الذى أصبح محرما عليه الزواج منها ، ومن الغريب أن راغب الزواج يفضل الحامل عن هذا الطريق معتقداً أن ذلك بركة من الله ينبغى أن يحصل عليها .

إن مجرد التفكير فى هذه الظواهر القانونية لدى كل من انجلترا وفرنسا ، وظاهرة الزواج الشائعة لدى قبائل تعيش الآن فى جزيرة مدغشقر يدفعنا إلى إتهام كل من هذه المجتمعات بالتأخر والعى فى التفكير والتحلل من الأخلاق . لكن الواقع يخطئنا فى هذا الحكم حيث أنها كانت ظواهر سوية أخذت بها مجتمعات فترة طويلة من الزمن .

والخلاصة أنه ينبغى علينا عند دراسة الظواهر الاجتماعية أن نبحثها كأحداث مستقلة قائمة بذاتها ومعيار الشذوذ والسوء فيها هو المجتمع وحده .

ثالثا : علم الاجتماع وأهدافه

ويهدف علم الاجتماع من دراسة الظواهر الاجتماعية إلى الكشف عن القوانين العامة والمقومات والدعائم الاجتماعية التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية فى تطورها ومتى يتم ذلك يتمكن علماء الاجتماع من :

١ — التنبؤ بظاهرة معينة قبل وقوعها على أثر استشفاف تيارات إجتماعية متقطعة متكررة كانت أو مستمرة ، خفية كانت أو ظاهرة ، تيارات تكون بمثابة مقدمات للظاهرة وإرهاصات لسيادتها .

٢ — التحكم فى الظواهر الاجتماعية عندما يتم استكشاف القوانين الاجتماعية لهذه الظواهر . ولقد وصل علماء الاجتماع إلى الكشف عن قوانين بعض الظواهر فتمكنوا من التحكم فيها . فقانون الأسعار ، كلما زاد الطلب وقل العرض ارتفع السعر وكلما زاد العرض وقل الطلب انخفض السعر ، مكن علماء الاقتصاد من التحكم فى الأسعار ، ومايسود البلاد من اضطراب فى السوق الاقتصادية ليس له من تفسير إلا منفعة تصيب طائفة قليلة من الأمة ، فإن كان انخفاض

السوق يفيدها كفت البيوتات المالية عن الشراء ، فيزدحم السوق بالسلعة (زاد العرض وقل الطلب) فينخفض السعر ، وإن كان ارتفاع السوق ينفعها التهمت البيوتات المالية ما فى السوق من سلع فيقل المعروض منها (زاد الطلب وقل العرض) فيرتفع السعر ، كل ذلك يقع فى خطة يرسمها ذوو الأعراض . وهكذا يتحكم فى السوق طائفة معينة لا لمصلحة الوطن ولكن لمصلحتها أن تصيب فائدة من انخفاض السوق عن الشراء وتصيب أخرى عن ارتفاع السوق عند البيع . وعلى ذلك نستطيع أن نجزم أن أولى الأمر فى وزارتى المالية والتجارة هم وحدهم المسئولون عن اضطراب السوق الاقتصادية فنى وسعهم وحدهم التحكم فيه بتطبيق قانون الأسعار لمصلحة الوطن والمواطنين تجارا كانوا أو مستهلكين .

ويا حبذا لو واصل علماء الاجتماع العمل للكشف عن القوانين العامة لكافة الظواهر لصالح الإنسان والإنسانية التى تكون قد بلغت بذلك سعادتها المنشودة .

الإصلاح الاجتماعى

إذا كان للمجتمع عقلية خاصة وقوانين ترغم الأفراد على التصرف والسلوك وفقها وقوانين أخرى بتطور المجتمعات فى حدودها . إذا كان الأمر كذلك فما هو الدور الذى يلعبه الإنسان فى مجتمعه . وهل يقف العباقرة من مجتمعاتهم مواقف سلبية مجرد خضوع لقوانين الجماعة ومجرد تنفيذ لحدودها . أم ثمة مواقف إيجابية يقفها الأبطال والعباقرة ليحولوا مجريات الأمور ؟

الفرد كل شىء

وثمة نظريتان تفسران العلاقة بين الإنسان ومجتمعه أما الأولى فتقرر أن الأبطال هم الذين أوجدوا النظم ووجهوا التاريخ وعلى رأس القائلين بها كارليل الإنجليزى يتناول العباقرة والأبطال وعظماء التاريخ يلقى عليهم من الأضواء والألوان ويفيض عليهم من أسلوبه السيال ما يرفعهم إلى مراتب الخلق والإبداع ثم يقول ولولا هؤلاء

الأبطال والعظماء ما خطت الأمم ولا رقت الشعوب ولا تقدمت الممالك ، والتاريخ خير شاهد وحوادث الأيام خير مؤيد ومثبت

ولعل أبرز ما يؤيد هذه النظرية الاختراعات العلمية التى كان الفضل فى اختراعها يرجع إلى علماء وعباقرة أفذاذ لم يكن لهم الفضل فى تقدم العلوم فحسب بل إليهم وإلى مخترعاتهم يرجع تلاشى نظم ونشوء أخرى وانهيار دول وقيام أخرى وثورات وانقلابات لا تزال تقع آثارها حتى اليوم ولا نزال نسمع أصداءها عنيفة مدوية وحسبى من كل الاختراعات اختراع الآلة فلقد أثرت على الإنتاج فزاد وترتب على الزيادة استعمار وأثرت على العمل فقللت من الأيدى العاملة فكانت بطالة وكانت رأسمالية ثم كانت نظم تحاربها ونظم تؤيدها وهكذا .

المجتمع كل شىء

ولإن كانت النظرية الأولى تمجد الفرد وترفعه إلى مراتب الخلق والإبداع وترى أن المجتمع كله ماهو إلاصورة لما يريد العبقرى ولوحة حية لما يراه البطل . فإن النظرية الثانية ترى أن الفرد فرد إن اعتزل العالم وعاش فى شعب

من الشعاب أما أن يندمج فى الجماعة ويتعضون فى المجتمع فإنه سيفقد شخصيته الفردية ليخضع لشخصية الجماعة ويفقد عقله الفردى ليسير وفق ما يرسمه العقل الجمعى . وكم من فيلسوف خرج على الناس بآراء آمن بها ، وكم من مصلح طلع على الناس بإصلاحات ينقذ المجتمع بها فلم يكن لهم من نصيب سوى القتل أو النفى ، وما نكون قد رأيناه من مفكرين ومصلحين ليسوا فى الحقيقة إلا مترجمين لرغبات المجتمع منفذين لمطالبه ولو لم يوجد هؤلاء المفكرون بالذات لأنتج المجتمع نفسه من يقوم بذلك ويلبى رغبته .

توفيق بين النظريتين

ولكن إن كان فى إلغاء سلطان المجتمع مكابرة ومغالطة بعد ما ثبت للمجتمع من سلطان فإن فى إلغاء قيمة الفرد ظلما له بعد ما شاهدنا من جهود له واختراعات .

وكما أن للمجتمع سلطانه وضغطه وعقله الخاص به كذلك له رغباته واتجاهاته وليس فى استطاعة كل أن يستمع لوحيه وهمساته اللهم إلا هؤلاء العباقرة الذين تجود بهم الأقدار بين الحين والحين لينصتوا لرغبات المجتمع الدفينة وتياراته

الباطنية فينقلوا هذه الرغبات وهذه التيارات إلى لغة الناس وهكذا يبدو واضحاً الدور الذى يقوم به الفرد ، ترجمة ونقل لرغبات المجتمع إلى الناس .

والناس لا يؤمنون إلا بالواقع ولا يثقون إلا فى المحسوس ، وحديث المصلح بالنسبة إليهم طلاسم وأحاجى فيقفون منه موقف المنكر ثم موقف الاضطهاد ، وأخيراً يقفون منه موقف الحرب السافرة ، المصلح وقد حصلت المكاشفة بينه وبين العقل الجمعى ، نجده مؤمنا بما ينقل ويترجم مدفوعاً تحت تأثير الإيحاء القوى الذى يوجهه إليه العقل الجمعى . إليه كوسيط بينه وبين الناس . وقليل من الناس وسطاء يستطيعون استقبال رسائل العقل الجمعى وقليل منهم أنبياء يستطيعون استقبال الوحى الهابط من السماء .

فالمجتمع وقد أوحى لهذه النفس الشفافة بأمره وألقى على كاهله قوله الثقيل تركه ليدعو ويقنع ويجاهد ويحارب والمجتمع من ورائه يتبع الوحى بوحى أقوى والهمس بهمس أعنف فيستجيب لهذا الوحى العنيف طبقة أخرى من المجتمع أقل من الداعية الأول فى دقة الحدس وضياء البصيرة ومكاشفة العقل الجمعى وتنضم هذه الطبقة إلى الداعية

الأول وبانضمامها تقوى الدعوة وتنشط وهكذا يتعاون العقل الجمعى والداعية وأنصاره على تحقيق الفكرة وإحقاق الرغبة : العقل الجمعى بإيحاءاته والداعية وصحبه بجهادهم حتى يتم النصر وتتحقق الرغبة الدفينة فى المجتمع فيصبح نظاماً سائدا :

نتائج خطيرة

ومن هذا يتضح :

أولا : أن مدة جهاد المصلحين حتى يتم لهم النصر تتناسب تناسباً طردياً مع عمق الرغبة فى شعور العقل الجمعى

ثانياً : أن المصلحين الذين تصدى لهم المجتمع وحكم عليهم بالقتل أو النفى ليس له من سبب إلا الدقة الزائدة فى الحدس والبصيرة الفائقة فى المكاشفة هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت الرغبة من العمق بحيث لم يحس بها إلا هذا الداعى الذى بدا غريبا فنبذه المجتمع . ولنا فى قصة روبرت أوين الإنجليزى الذى سبق ذكره من قبل ما يثبت صدق ما تقرأ . فالمجتمع الذى حكم عليه بالنفى هو هو الذى أخرجه ليحقق مشروعه وما حدث هو أن الرغبة

الاجتماعية كانت أولا من العمق بحيث لم يدركها إلا روبرت أوين وبمضى الزمن كانت الرغبة تزداد قربا من الوعى القومى حتى أدركها الذين حكموا عليه من قبل بالنفى فأعادوه ليحققها نظاماً سوياً .

ثالثاً : أية فكرة يقول بها فرد ويثبت عليها ويتجمع حوله أنصار يشدون أزره ويزداد عدد أنصاره بمرور الزمن . هذه الفكرة هى بلا شك رغبة أكيدة من رغبات المجتمع وظهورها يعد إرهاصا لنظام سيسود . لب هذا النظام وجوهره تلك الأفكار التى ترددت من قبل على ألسنة المصلحين .

الإرهاصات

الظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية ، وكما أن للظواهر الطبيعية شواهد ومقدمات تعين على التنبؤ بوقوعها : فسحاب أسود كثيف وانخفاض فى درجة الحرارة ينبئآن بسقوط المطر الغزير ، وضباب كثيف فى الصباح ينبئ بزيادة درجة حرارة النهار . كذلك للظواهر الاجتماعية مقدمات وإرهاصات تساعد على التنبؤ بوقوعها فوفرة فى محصول القطن ووفرة منه فى مخازن المصانع دون تدخل عوامل اجتماعية أخرى تنبىء بهبوط سعر القطن ، والعكس قلة فى المحصول وشدة الحاجة إليه دون تدخل عوامل اجتماعية تنبىء بارتفاع سعره .

والتاريخ ملىء بهذه المقدمات عامر بمثل هذه الإرهاصات التى تسبق النظم التى سادت فترة من الزمن أومازالت تسود .

زيد والرسول الكريم . . . والدين الإسلامى

فى شبه جزيرة العرب قبل بعثة نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم كان يسود سكانها النظام القبلى على أسوأ صوره

فالحروب مستمرة بين القبائل لا تكاد تهدأ إحداها حتى تشتعل أخرى بأضعف الأسباب وأوهى العلل . وكان منتشرا نظام الرق فهناك طبقة الأسياد وطبقة العبيد للأولى كافة الحقوق وجميع الامتيازات ، أما الأخرى فمسلوبة من كل حق بعيدة عن أى امتياز . والأخلاق منحلة فى قسوة ويتمثل انحلالها وقسوتها فى ظاهرة وأد البنات بين الأغنياء والفقراء على السواء ؛ بين الأغنياء خوف العار الذى ستجلبه البنت بسوء أخلاقها ، وبين الفقراء خشية الفقر والإملاق .

والدين السائد وقتئذ عبادة الأصنام . أصنام يصنعونها ليعبدوها ويقيمونها ليقدسوها : يطوفون بها ، يقدمون القرابين لها ، ويلتمسون البركات منها من فوقها تجرى دم النحور وعند أقدامها تضرب القداح .

فى هذه الفترة المظلمة المضطربة من تاريخ شبه الجزيرة وقبيل بعثة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى عيد من أعيادهم عيد العزى والجميع يحتفل بالعيد إذ بأربعة نفر من سادة العرب يتسللون فى صمت ليلتقوا بعيداً عن الأنظار يتهامسون : —

« تعلموا والله ما قومكم على شيء ، وإنهم لفى ضلال مبين ، فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجرى دم النحور ، يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذى أنتم عليه » ويؤمن الثلاثة على قول قائلهم وينصرف الأربعة ، كل فرح باستقرار الحكمة فى قلبه ، فرح بمشاركة آخرين له وفى عزم كل منهم أن يعمل عملا .

كان الأربعة هم زيد بن عمرو ، وعثمان بن حويرث وعبيدالله بن جحش وورقة بن نوفل، أما زيد فاعتزل الأوثان وكان يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة : « اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك لعبدتك به ولكنى لا أعلمه » ثم يطوف بالشام والعراق باحثا عن الحقيقة لدى اليهود والنصارى ثم يبلغه أن محمداً بمكة ظهر بدين جديد يدعو إلى الإيمان بالله ، موجود فى كل مكان ، خالق الأرض والسماء ، فيهرول زيد إلى مكة ويقال إنه قضى قبل أن يصلها ويقال إنه قتل فى بطونها .

أما عثمان بن حويرث فذهب يبحث عن دين يشفى نفسه ويروى ظمأه الروحى فى بيزنطة وهناك اعتنق المسيحية

وكبر شأنه لدى قيصر الروم، وحاول أن ينقل الدين المسيحى إلى مكة بإخضاعها لحماية الروم ولكنه فشل :

وعبد الله بن جحش . حضر بعثة نبى الإسلام فأسلم هو وزوجته وهاجرا هجرة الحبشة وهناك اعتنق المسيحية ومات عليها ، أما زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبقيت على الإسلام وتزوجها رسول الله .

وورقة ابن نوفل أعتنق المسيحية وعكف على دراسة الإنجيل ونقل بعضه إلى اللغة العربية . وقال لخديجة على أثر خبرها عن أول الوحى « قدوس قدوس ! والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت . » وقال لرسول الله يوماً فى الكعبة : « والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه »

هذه الحادثة وهذا التلاقى والإجماع على فكرة واحدة وهذه الحيرة الروحية للبحث عما يشفى الروح من قلقها ،

وهذا العزم الأكيد والنية الصادقة وهذا الإيمان الذى صدقه هجرة وبحث .

ثم ظهور المصطفى صلى الله عليه وسلم بدعوة تلبى مايخالج النفوس وتجيب عما يختلج فى الأفئدة ويعتمل فى الصدور . بدعوة يؤمن بها إيمانا لا يعدله ملك ولا جاه ولا سلطان : « والله ياعمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ثم جهاد وصبر ثم هجرة وحرب ثم فتح ونصر ، وإذا بهذه الأفكار هى النظام السائد نظام أمة ودولة ونظام أمم ودول .

وبعد أفلا يمكن القول بأن اجتماع الأربعة الأسياد زيد وعثمان وعبد الله وورقة على فكرة تتخلص فى رفض الدين القائم والبحث عن دين قويم ثم ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بالدين القويم . ألا يمكن القول بأن ذلك إرهاص للنظام الذى ساد بعد ربع قرن وبالقانون الذى حكم بعد جيل ومازال يحكم طورا يظهر وطورا يندثر وهكذا وفق سنن وأحكام ستظل مجهولة حتى يوفق الله علماء الاجتماع إلى الوصول إلى قانون تغيره وتطوره !

كارل ماركس ولينين .. والنظام الشيوعى

كان اختراع الآلة ثورة وانقلابا ، أثر فى كل شىء : فى الإنتاج فزاد وفى النفقات فقلت وفى الأيدى العاملة فتوفر منها الكثير . فكانت رأسمالية وكانت بطالة . كانت رأسمالية تفرض سلطانها على الحكومات ورجال الدين : على الحكومات فدفعتها إلى الاستعمار وعلى رجال الدين فدفعتهم إلى الإفتاء فى صالحهم ولا أدل على ذلك من تلك الفتوى التى حرمت الإنفاق على اليتامى لتربيتهم بدعوى أن الرب أراد لهم الشقاء فلا يليق بأحد أن يعمل على رد مشيئته تعالى ، وانفض السامر واستقرت الأوضاع على طبقتين :

طبقة الأغنياء : يجمعون المال فى ظلم وعسف لينفقوه على شهواتهم وأهوائهم الفاسدة .

طبقة العمال : طابعها فقر وبؤس وجوع وإملاق وبطالة وتعطل . تموت لبحى الأغنياء وتفنى لينعم الرأسماليون وتحترق ليترف الظالمون .

وعلى هامش هاتين الطبقتين طبقة التجار الصغار الذين

قد يثرون على أثر حرب فيشاهد المجتمع من أخلاقهم ما يفوق أخلاق الأغنياء فساداً .

وطبقة الفلاحين الذين يعيشون فى سجن الحقل لا يعرفون من أمور الدنيا غير أرضهم وماشيتهم وكوخهم وهؤلاء قد قتلهم الصبر على إنتاج الأرض فعاشوا أمواتاً .

فى هذا الجو الذى كله أمل وحياة وغنى فى القلة القليلة ويأس وموت وفقر فى الكثرة الكثيرة ، فى هذا الجو الذى كله ظلم وعسف وخسف ، وكله استكانة واستضعاف نشأ كارل ماركس على الحدود الألمانية الفرنسية فدرس الاقتصاد وتاريخ الشعوب والحضارات ، وتتلمذ على هجل الفيلسوف الألمانى المثالى . واستجاب ماركس لبيئته فأنتج فلسفته المشهورة وراح يدعو لها فى كل بيئة ويجمع العمال حوله ويتصل بالنقابات ، فيؤمن به من يؤمن ويعترض عليه من يعترض ، وكان ممن آمن بهذه المبادىء لينين وتروتسكى وستالين الذين هبوا يدعون لها فى حماس وقوة ، والتف حولهم العمال ، وآمن بهم الشباب وظل يكافح ويجاهد ويناضل ، يتحملون آلام النفى ومصائب الاضطهاد فى صبر ومصابرة ورباط . . . كانوا يكتبون الإعلانات بأيديهم

ويقطعون الفيافى مشيا على الأقدام ويتحملون المشاق فى سبيل دعوتهم حتى أعلنت الحرب . فنفى القيصر زعماء الحزب وسجن أنصاره ، لكن الفكرة لم تمت بنفى الدعاة وسجن الأنصار بل اعتملت الأفكار فى نفوس الأفراد ودفع البؤس معظم الناس إلى التحرر من هذه العبودية الغاشمة فكانت ثورة سنة ١٩١٧ ثم شاءت الظروف أن يعود لينين فتعود معه الرغبات الاجتماعية القومية إلى تطبيق مبادئه وتعاليمه ، فطبقت .

وبعد أفلا يمكن القول بأن تعاليم كارل ماركس وجهاده وإيمان لينين والتفاف الناس حوله وتجمع الناس عليه وجهاد الجميع فى سبيل تحقيق هذه المبادىء ألا يمكن اعتبار هذا التيار إرهاصا بالشيوعية التى حكمت بعد ذلك وماتزال تسرى فى أمم وشعوب حتى اليوم .

أمثلة أخرى .

قبل الثورة الفرنسية كان الشعب ينقسم إلى ثلاث طوائف : —

١ — طبقة الأشراف ٢ — طبقة رجال الدين

٣ — طبقة العامة .

أما طبقة الأشراف فتمتعة باعفاء من الضرائب متمتعه بحق الصيد الذى يعد أقوى دليل على ظلم الأشراف والأمراء وفيما يلى ما كتبه Arthur Yowg ، كان الملك يمنح أفراد بيته حق الصيد فى ضيعة من الضياع لا هى من ملك الملك ولا هى من ملك الأمير وكان معنى هذا الحق أنه يصبح محظورا على أى إنسان غير هذا الأمير أن تمس يده شيئاً من الصيد الذى يوجد بهذه الضيعة طيراً كان أو وحشاً ، وكثيراً ما كان ذلك سبباً فى تلف الزراعة كما كان أيضاً سبباً فى تعمير السجون بأصحاب الحقول التعساء الذين كانوا يقدمون على قتل تلك الحيوانات إبقاءاً على ما تخرجه الأرض من طعام نزر لهم ولأبنائهم البائسين ، وكان يتمم هذه الحقوق عدة لوائح توجب على أصحاب تلك الضياع أن يحافظوا على الصيد فكان ممنوعا عليهم تنظيف الحقول وتنقيتها مما تنبت فيها من الحشائش خشية تنفير أفراخ الطيور وكان محظورا تسميد الحب خشية أن يكون فى ذلك أذى للطيور وكان لا يجوز قطع البرسيم وغيره قبل موسم خاص كان تأخره يضر بكثير من الحاصلات

كما كان لايسمح بتقليع الجذور من الأرض إذا كان بقاؤها ينفع الطيور كمأوى تأوى إليه » .

كل هذا الغرم وكل هذه الخسارة التى تلحق الفلاح من أجل الترف الذى يبغيه الأمير ومن أجل المتعة لعدة أيام يقضيها صياداً بأرض هذا الفلاح البائس الذى لايدرى من أين يسدد الضرائب الباهظة إن حل بضيعته أمير من الأمراء يصطاد ويلهو .

كانت فرنسا تشكو الفوضى فى كل شى . الفوضى فى الملكية فقد كان الأشراف يملكون نصف أرض فرنسا وعدد لايزيدعلى ٣٠٠ ألف بينما يملك النصف الآخر الشعب كله الذى يربو على الـ ٢٥ مليون . كما كانت تشكو الفوضى فى الضرائب العديدة التى كانت تجبى من فريق دون فريق وتجبى فى أوقات لا يعرفها إلا الجباة يقدرونها حسب هواهم فى ظلم وعسف ، فلقد قدر أن الفلاح كان يدفع من كل مائة فرنك تصل إلى يديه ٥٣ فرنكا للحكومة ١٤ فرنكا للكنيسة ١٤ فرنكا للشريف والتسعة عشر فرنكا الباقية هى التى كانت تترك فى يد المسكين لسد حاجاته وحاجات أهله

فى هذا الجو المظلم الظالم نشأ روسو وفولتير ومنتسكيو

ودلمير فراعهم ذلك الظلم وأفزعهم ذلك الطغيان ، وراح الجميع يرددون أفكاراً متشابهة وآراء متماثلة يعرضونها فى قوة وحماسة وإيمان ، والشعب من حولهم يقرأ ويسمع حتى استطاعوا أن يكونوا رأيا عاماً كانت أولى صفاته التشكك وعدم اليقين ، واتهام كل ما أحاط به من النظم والفساد .. وأخيراً قوى الوعى وانتصرت الثورة فإذا بالآراء التى كان يرددها المفكرون نظما ، وإذا بالأفكار التى كان يعرضها الكتاب قوانين . وهكذا يسبق كل نظام مقدمات وإرهاصات .

مناهج البحث

فإذا كان كل نظام سائد وكل ظاهرة سوية منتشرة لا بد وأن تسبقها مقدمات وإرهاصات تنبىء بوقوعها وسيادتها : ونحن الآن فى فترة انتقال وتحول لا استقرار فيها ولا هدوء ، ولا رضى فيها ولا تفاؤل بل الكل ساخط فى وضعه والكل متشائم من مستقبله :

عقيدة مضطربة لم تستقر وتطلب الاستقرار

وثروة مختلة فى توزيعها وملكية أكثر اضطرابا واختلالا .

وطبقتان متباعدتان فى إحداهما فزع وخوف وفى الأخرى سخط وحقد :

ومجتمع منحل يموج فى ثورة ويغلى فى كبت

وتيارات اجتماعية سريعة وقصـــيرة تظهر لتختفى وتحيا لتموت :

وأمال تتردد على ألسنة أقوام ، وأحلام تجول فى رؤوس آخرين .

وأقوام ترى المستقبل باسماً فرحاً وأخرى تراه كئيباً حزيناً

حالة لا استقرار فيها ولاهدوء .

فإذا كان الأمر كذلك فهل لدينا فى تاريخنا الحديث من الأحداث الاجتماعية مايمكن أن نتصورة ارهاصاً وعلامة لنظام جديد يسود البلاد ، تقر فيه العقيدة وتنتظم فيه الثروات فى عدالة اجتماعية ، وهل فى التيارات الاجتماعية الكثيرة مايمكن إعتباره الأرهاص الحقيقى للنظام المقبل ؟ إن البحث فى ذلك شاق ومتعب ، والاستقرار أشق وأتعب ولكنى سأحاول قدر الطاقة الدقة فى البحث والاستقراء بأن أنهج منهجين .

١ — مع الزمن فى المكان الواحد

(المنهج الديناميكى) أسير مع الزمن ومع التاريخ منذ بدء نهضة أو تيقظ فكرة ملتمساً من الأحداث الاجتماعية ما يمكن أن يرتبط أوله بآخره ويكمل آخره أوله حتى إذا اكتمل العقد وأزيحت « الرتوش » وضح الطريق الذى يؤدى إلى الهدف المقصود ويحقق الرغبة الاجتماعية الأكيدة .

٢ — مع المكان فى الزمن الواحد

(المنهج الاستاتيكى) أبحث فيه عن حدث اجتماعى تكرر من عدة أقوام وتشابه فى عدة أمم ووقع بين عدة طبقات فإن عثرنا عليه متكررا متشابها كان بلا شك الرغبة التى تأكدت بإجماع الأمم والطبقات .

فأن أيدت أبحاث المنهج الثانى نتائج المنهج الأول كانت تلك الأحداث بلا أدنى شك ودون أدنى ريب المقدمة والإرهاص للنظام الذى تتجه نحوه الجماعة ويسعى لتحقيقه المجتمع .

إرهاصات عودة الإسلام

مع الزمن ..

السيد جمال الدين الأفغانى . دعوته . جهاده . طرده .

نحن الآن فى مصر عام سنة ١٨٧٠ والخديو اسماعيل يتربع على عرش مصر وهدفه أن يجعل منها دولة تبارى دول أوروبا ويجعل من القاهرة مدينة تباهى فى جمالها وتنسيقها ومبانيها أرقى مدن أوربا . لكن هذه الطفرة من الإصلاح أدت بالخديو اسماعيل إلى الاستدانة فاستدان واستدان حتى بلغت ديونه خمسة وتسعون مليونا من الجنيهات . ولما لم تتمكن مصر من سداد الدين أخذ الدائنون فى الحجر والتدخل فى كل الشئون . وكانت بعثة Cave سنة ١٨٧٥ التى اقترحت إنشاء مصلحة للرقابة على الشئون المالية يخضع الخديو لمشورتها . وكان صندوق الدين سنة ١٨٧٦ وخلاصته رقابة أوروبية على شئون البلاد مراقب انجليزى يراقب الإيرادات وآخر فرنسى يراقب

المصروفات . وتطورت الرقابة الثنائية هذه إلى وزارة مختلطه برئاسة نوبار باشا فيها وزير انجليزى للمالية ووزير فرنسى للأشغال ... وهكذا تم التدخل والاحتلال الأجنبى فالمال عصب الحياة من هيمن عليه هيمن على الحياة جميعها فباسم المال تدخلوا فى شئون المواصلات وباسم المال تدخلوا فى شئون الزراعة وباسم المال تدخلوا فى كل مرافق الحياة المصرية .

فى هذه السنين العجاف وهذه الأيام الحوالك هبط جمال الدين الأفغانى ضيفا على مصر .. فأكرمت وفادته . ولسنا فى حاجة إلى سرد تاريخ جمال الدين الأفغانى مولده ونشأته وأعماله ووفاته ولكنا سنأخذ من تاريخه ماتخصنا فى بحثنا مدة إقامته بمصر وفترة أخرى بعد ذلك كانت له فيها آثار فى مصر .

هبط جمال الدين أرض مصر فى مارس سنة ١٨٧١ وأقام بمنزل فى خان الخليلى ومنذ نزل أرض مصر بدأ جهاده فيها ففى طبيعته ثورة وفى أرض مصر ماينميها وفى المجتمع المصرى وقتذاك ما يهيجها .

دعوته

وغاية جمال الدين وأهدافه ترمى إلى .

١ — إصلاح عام يشتمل الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية وطريقة العودة إلى الإسلام فى صدره الأول .

٢ — اصلاح سياسى يقوم على الشورى الإسلامية ممثلة فى الحكم النيابى .

٣ — أن يحكم المسلمين ملك واحد وترفرف على الأمم الإسلامية علم واحد وحيث أن ذلك لن يتأتى لكثرة الممالك فلتنضم الأمم الاسلامية كلها فى حلف إسلامى عام تكون فيه الأمم الاسلامية مثل الولايات الجرمانية يتزعمها أكبرها .

وإن فصل « الأمور التى تتم بها سعادة الأمم » من كتابه « الرد على الدهرين » . ليمثل فى وضوح ويقين الجانب البنائى فى دعوته .

يقول « إن نيل الأمم للسعادة مشروط بأمور لا يتم إلا بها

الأول : صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام . والإسلام يقتضى ذلك لأن أول ركن بنى عليه الدين الإسلامى ، صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها

من لوث الأوهام ، وخلع كل عقيدة بأن الله ، جل شأنه ، ظهر أو يظهر بلباس البشر ، أو حيوان آخر ، أو أن تلك الذات المقدسة ، نالت فى بعض أطوارها شديد الآلام ، وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق .

الثانى : أن تكون نفوس الأمم مستقبلة وجهة الشرف طامحة إلى بلوغ الغاية منه بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنسانى ، ما عدا رتبة النبوة فإنها بمعزل عن المطمع ، وإنما يختص الله بها من شاء من عباده ، فإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة ، أعنى الإقبال على وجوه الشرف ، تسابق كل مع الآخر فى مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة إلى محاسن الأعمال .

إن دين الإسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة .

وليس الإسلام كدين برهما الذى قسم الناس إلى أربعة أقسام وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لا يجاوزها ، ولا هو كاليهودية التى تخاطب شعب إسرائيل بالكرامة

والإجلال وتذكر غيرهم بالتحقير والإهانة ولاهو كالمسيحية التى تذهب إلى أن رؤساء الدين أقرب إلى الله من سائر البشر وأن كل نفس وإن بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها إلى التقرب إلى الله بغير وساطة الرئيس الدينى .

الثالث : أن تكون عقائد الأمة ، وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة وأن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها ، وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها . وهذا « كيزو » الفرنسى صاحب تاريخ التمدن قال إن من أشد الأسباب أثراً فى سوق أوربا إلى تمدنها ، ظهور طائفة فى تلك البلاد قالت إن لنا حقاً فى البحث عن أصول عقائدنا وطلب البرهان عليها . والدين الإسلامى يكاد يكون منفرداً من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل ، وتوبيخ المتبعين للظنون ، هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم وكلما خاطب ، خاطب العقل وكلما حاكم ، حاكم إلى العقل

وقلما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية ، ومن الأديان الظاهرة ما بنى أعظم أركانه على أصل الكثرة فى الواحد أو الواحد فى الكثير وأن الواحد

يكون أكثر والكثير يكون واحداً ، مما تنبذه بداهة العقل فلما أنكر العقل أصل هذا ، أجمع أهل الدين على أنه فوق العقل ، فلا ينال الفكر دركه لا بالكنه ولا بالوجه ولا يهتدى الدليل عليه .

الرابع : أن يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة وطائفة أخرى على النفوس تتولى تهذيبها ، وتثقيف أودها ، لاتى الأولى فى مكافحة الجهل وتنوير العقول بالمعارف الحقة ، وتدأب الثانية على الكشف عن الأوصاف الفاضلة وحـــدودها ، فإن الشهوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ، ولا لرغائب الأنفس غاية تنقطع عندها ، فإن فقد بين الناس مقوم النفوس ومعدل الأخلاق طغى سلطان الشهوة واندفع إلى الحيف والإجحاف ، وأن من أهم الأركان الدينية الإسلامية هاتين الفريضتين ، نصب المعلم ليؤدى عمل التعليم ، وإقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر ،

والإسلام هو الدين الوحيد الذى تتم به سعادة الأمم .

فإن قال قائل . إن كانت الديانة الإسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على ما نرى من الحال السيئة والشأن المحزن ؟

فجوابه هو النص الشريف « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

جهاده

على هذه الأسس أخذ جمال الدين يدعو ولهذه الأهداف أخذ يجاهد ويناضل وبدأ جهاده :

١ — فى منزله يدرس لبعض مجاورى الأزهر كتباً فى التفسير والتصوف والفلسفة وحضر هذه الدروس كثيرون على رأسهم الإمام محمد عبده وكان يدرس بطريقة جديدة تخلق فى تلاميذه ملكة التفكير الحر وتدفعهم إلى النقد الحر كما كان يركز انتباه سامعيه إلى ما يهدف إليه الكاتب من المعانى دون الوقوف عند الألفاظ طويلا .

٢ — ثم انتقل بعد ذلك إلى خاصة المجتمع ، يذهب إلى مقهى فى حى الأزبكية فيلتقى بالأدباء والمفكرين يدير دفة الحديث فى كل شىء فى الأدب والسياسة والاقتصاد وكان من أثره أنه حول الأدب من مدح الحكام ومجاملتهم إلى تصوير الحياة الاجتماعية وبيان علل الفساد والمطالبة بإصلاحها . وكان الأدباء وقتئذ يخافون الخوض فى المسائل

السياسية فدفعهم إلى نقدها فى عنف وقسوة ولقد صور لنا الشيخ محمد عبده هذه الفترة فى قوله « ولو حدث إنسانا فكره السليم بأن هناك وجهة خير غير التى يوجهه إليها الحاكم لما أمكنه ذلك فإن بجانب كل لفظ نفياً عن الوطن أو إزهاقا للروح أو تجريداً من المال . فلما جاء جمال الدين كسر فى الأدباء هذه القيود النفسية وأطلق أرواحهم حرة وأخذ بأيديهم لتكتب فى حرية يرسم لهم المناهج ويوضح لهم الخطط ويلقى إليهم بالأفكار مثال ذلك أنه شجع أديب إسحاق على إصدار جريدة « مصر » وكان يكتب فيها جمال الدين باسم مستعار « مظهر بن الوضاح » ثم دفعه إلى إنشاء جريدة «التجارة» بالإسكندرية واستكتب فيها محمد عبده وإبراهيم اللقانى فوق ما يكتبه بنفسه فراجت الجريدتان وانتشرتا بين الناس بسرعة فائقة أقلقت بال الحكام فأغلقهما رياض باشا . فيوعز إلى الكاتب « يعقوب صنوع » بإنشاء مجلة هزلية تتولى نقد سياسة اسماعيل باشا فأنشئت مجلة « أبو نضارة » وكان من نتيجة هذا البعث الجديد والروح الجديدة التى بعثها جمال الدين فى تلاميذه أن أصبحنا نرى فى الجرائد « إن الحاكم وإن وجبت طاعته فهو من البشر الذى يخطئون وتغلبهم شهواتهم ولا يرده

عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل » .

وقارن هذا النص بما كتبه الأستاذ الإمام فى تصوير الحياة وقتذاك وتصور مدى الفرق بين الروحين .

٣ — ثم ينتقل جمال الدين إلى المجتمع عامة ، إلى الشعب إليه فى المقاهى فى المحافل فى كل مكان يلتقى فيه بالناس حتى أحبه الناس وأقبلت عليه عامة الشعب وذاع صيته وأصبح خطراً يخشى ويحسب له حساب كان يخاطب الناس إنكم معشر المصرين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الغانمين ، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين تسومكم حكوماتكم الحيف والجور ، وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون ، بل راضون وتستنزف قوام حياتكم — التى تجمعت بما يتحلب من عرق جباهكم بالعصا والمقرعة والسوط — وأنتم صامتون . فلو كان فى عروقكم دم فيه كريات حيوية وفى رءوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية ، لما رضيتم بهذا الذل وهذه المسكنة تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب

والأكراد والمماليك الخ وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة ، لا حس لكم ولا صوت .

انظروا أهرام مصر ، وهيا كل منفيس وآثار طيبة ، ومشاهد سيوة وحصون دمياط فهى شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم هبوا من غفلتكم ! اصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقى الأمم أحرارا سعداء » .

ولما اشتد ساعد جمال الدين وكثر أنصاره ومريدوه ، وأحس أولو الأمر بخطره استدعاه الخديو توفيق إلى قصر عابدين وقال له « إنى أحب كل خير للمصريين ويسرنى أن أرى بلادى وأبناءها فى أعلى درجات الرقى والفلاح ولكن مع الأسف إن أكثر الشعب خامل جاهل ، لا يصلح أن يلقى عليه ما تلقونه من الدروس والأقوال المهيجة فيلقون أنفسهم والبلاد فى تهلكة » . فأجاب « ليسمح لى سمو أمير البلاد أن أقول فى حرية وإخلاص أن الشعب المصرى كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل من أفراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذى تنظرون به الشعب المصرى ينظم إليكم ، وأن قبلتم نصح هذا المخلص ، وأسرعتم فى إشراك الأمة

فى حكم البلاد عن طريق الشورى . فتأمرون بإجراء انتخابات نواب عن الأمة تسن القوانين وتنفذها باسمكم وإرادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » .

طرده

وكأن الحديث السابق قد قوض فى نفسه آمالا كان يرجو تحقيقها على يدى الخديو توفيق ذلك أنه كان دائم الصلة به قبل الحكم وكان الخديو توفيق يدين بمبادئه ويجاهد معه وتعاهد معه على تنفيذ كل مبادئه عندما يتولى الحكم .. كان جمال الدين وأنصاره يتوقعون خيراً على يدى توفيق ويرجون فيه تحقيق كل الآمال . لكن الحديث السابق كان لطمة وصاعقة فخرج جمال الدين من عنده يخطب فى الناس يحثهم على العمل لصالحهم يدفع الكتاب والمفكرين على الكتابة فى عزم صادق وحماسة فياضة .

ولكن قرار مجلس الوزراء كان الضربة الأخيرة إذ قرر طرد جمال الدين لأنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا »

وقبض على جمال الدين وعلى خادمه الفيلسوف أبى

تراب وودعا القطر المصرى الوادع الأخير فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧١ إلى بمباى .

آثاره :

(١) الرأى العام

خرج جمال الدين من مصر ولكن بعد أن خلق رأيا عاماً ثائراً وتلامذة فهموه وهضموا مبادئه . والحق أن جمال الدين ، أيان ذهب كان يترك وراءه ثورة تغلى مراجلها ولسنا نعدو الحق أو نكون مبالغين إذا قررنا أن جميع الحركات الوطنية الحرة وحركات الانتقاض على المشاريع الأوروبية التى نشاهدها فى الشرق ترد أصولها مباشرة إلى دعوته ، كان غرضه ، ترقية دولة اسلامية أية دولة كانت فبدأ بمصر ولما أخفقت خططه فيها تعلقت بفتنة المهدى فى السودان ثم ببلاد إيران وأخيراً بالدولة العثمانية .

، كان الفرض الذى يصوب ، إليه أعماله والمحور الذى تدور عليه آماله توحيد كلمة الإسلام ، وكان قد بذل فى هذا السعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً ولكنه مع ذلك لم يتوفق إلى ما أراده فقضى

ولم يدون من بنات أفكاره الا رسالات متفرقة ، ولكنه بث فى نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركت هممهم وحددت أقلامهم ، أقول إنه غرس فى نفوس معاصريه مبادئه فآمنوا بها ، وبعث روحاً جديدة ملأتهم ، فملؤوا الدنيا ولفتوا الأنظار إليهم .

(ب) مدرسة :

أنشأ بمصر مدرسة تؤمن بالحق وتنشده ، وتؤمن بالإسلام على أنه النظام الذى يسعد العالم ويجنبه الشرور والآثام ، فجاهدت فى سبيل هذه الغاية ، واضطهدت فاستطابت الاضطهاد ، ونفى أعضاؤها فاستعذبوا النفى وعلى رأس هذه المدرسة محمد عبده وعبد الله النديم .

(ح) الثورة العرابية :

كما خلق رأيا عاماً ثائراً ، وأوجد وعيا قوميا لن يستقر إلا فى مساواة وحرية . وعيا قومياً ظهر أول ماظهر بوضوح فى الثورة العرابية .

والحق أن جمال الدين كان يرى أن الإصلاح لايقوم أبدا على التدرج والهدوء وإنما يقوم على الانقلاب والثورة

كان يحدث تلاميذه بذلك وكان يحدث الشعب المظلوم فى المقاهى والمحافل فاستجاب لهذه الروح رجال الجيش من المصريين الذين كانوا يشعرون بالذلة والمهانة فى المعاملة ، وكانوا يشعرون بتميز الشراكسة عليهم فى كل شىء فهبوا يطالبون بالمساواة . لكن جمال الدين وأنصار جمال الدين لم يتركوا الفرصة تفلت من أيديهم فضمنوا مطالب عرابى العسكرية مطالبهم . ومن ثم تقدم عرابى باسم الأمة مطالبا بالمطالب العامة . مساواة وعدالة اجتماعية وحكم نيابى . المطالب التى نادى بها جمال الدين وهمس بها إلى الخديو توفيق فى آخر لقاء . المطالب التى أصبحت الأمة كلها تجمع عليها . أقول إن أنصار جمال الدين لم يتركوا الفرصة تمر دون استغلالها فهب عبد الله النديم يخطب فى الجماهير يحثهم على الثورة . وهب أديب إسحاق يكتب وينشر وكذلك يعقوب صنوع المهم أن تلامذة جمال الدين هم أنفسهم الذين تولوا زمام الحركة الشعبية ففكروا ودبروا ورسموا الخطط وتحرجت الأمور وشرأبت الأعناق وساد الناس سكون العاصفة وإذا بالخديو توفيق يستعين بالانجليز لحمايته من

الشعب ومن الجيش فهب محمد عبده وأنصاره يتهمونه بالخيانة العظمى لاستعانته بالانجليز الأجانب.

وتدخل الانجليز ودخلوا عنوة واقتدارا وكان النتيجة المعروفة المحزنة وكانت الهزيمة الشائنة التى تكاتفت على وقوعها كل قوى الشر والخيانة الداخلية تلك القوى التى كان الإمام محمد عبده طالما يخيف أعوانه منها وينذرهم سوء عواقب الدفعة والتسرع ولمـــا يزل بين جوانبنا خونة أنذال.

لكن الأمر المقدر وقع فوقع معه كل أنصار الحركة فى المحاكمة وانتهت المحاكمات بنفى عرابى وجنده ومحمد عبده وعبد الله النديم وأنصارهما وبدأ التاريخ يسجل على مصر مرحلة الاحتلال البريطانى.

ومن تتابع أحداث الثورة العرابية واستقراء التيارات التى سبقتها ومعرفة زعمائها وأنصارها يتبين لنا:

١ — أن الثورة العرابية وإن بدت عسكرية إلا أنه سرعان ما تطورت فصارت ثورة قومية هيمن عليها زعماء مدرسة جمال الدين. الأمر الذى يجعلنا نجزم أنها كانت ولابد ستنتهى بتحقيق الأغراض التى رمى جمال الدين

وتلاميذه إليها وهى تحقيق الإسلامية والحكم بما أنزل الله ولعل هذا هو السبب الذى أسرع بالبريطانيين للتدخل فى الأمر وحسمه خوفا على كيان دولتهم . فهم يعلمون تمام العلم أن الإسلام أكسير العظمة والمجد لأية أمة تنهج نهجه وتسير وفق تعاليمه . فلإن نجحت الثورة العرابية وعلى رأسها هؤلاء الزعماء فمعنى ذلك أن الإسلامية ستحكم مصر وأن القرآن سيرفرف عليها وأن مصر ستقوى وأن قويت تهددت الإمبراطورية ووسائل مواصلاتها لذلك أعدت للأمر عدته ووجدت من الخونة المواطنين من مهد لها طريق النصر فانتصرت . واحتلت ودخلت الدعوة الإسلامية طور المحنة والاختبار فالزعماء أوذوا وشردوا ونفوا وجردوا من أموالهم وديارهم .

محمد عبده . والعروة الوثقى

والآن فلنمض مع الزمن ولنتابع الأحداث ولنرافق الزعماء لنرى ماذا فعلوا بدعوتهم وماذا قدموا لها ، وهل ثناهم وفتنهم البلاء أم صبروا وصابروا واحتسبوا فكان نفيهم هجرة وكان صبرهم جهاداً .

أما الأستاذ الإمام محمد عبده فقد ألقى القبض عليه بتهمة قلب نظام الحكم وسجن ثلاثة أشهر لاقى فيها الكثير من الأذى وتحمل فيها الكثير من الإهانة وتنكر له الأصدقاء وشمت فيه الحساد والحاقدون ولكن الشيخ صبر واحتمل، كل ذلك فى سبيل دعوته ، وبعد السجن حكم عليه بالنفى ثلاث سنوات فسافر إلى بيروت وفيها وصلته دعوة أستاذه جمال الدين باللحاق به فى باريس .

وهناك فى باريس فى حجرة ضيقة صغيرة التقى التلميذ بأستاذه وجددا العزم على مواصلة الجهاد وأصدرا معاً مجلة العروة الوثقى .

وهناك فى هذه الحجرة الضيقة بحثا معاً الوسائل السرية والعلنية فى التوزيع والنشر وتأسيس الفروع فى مختلف الأقطار والبلدان .

وهناك فى هذه الحجرة الضيقة كان يلتقى الأستاذان بالأتباع والمفكرين يتشاورون ويتباحثون وخرجت العروة الوثقى معبرة أصدق تعبير عن الدعوة الإسلامية فى أسلوب المؤمن الثائر الذى يفيض إيمانا وحماسة وقوة . خرجت لتحارب الإنجليز والتدخل الأجنبى وتحارب البدع

والخرافات التى شوهت الإسلام ولتظهر الدين على حقيقته نظاماً أحكمت مبادئه ، أحكمها العزيز العليم خالق السموات والأرض وبارىء الإنسان المتكبر فانتشرت المجلة انتشارا سريعاً وتناولتها الأيدى فى تلهف وشغف فاجتمعت عليها القلوب وتوحدت عليها الجماهير وأحس الإنجليز والفرنسيون خلل الجماعات والشعوب بيقظة روح وشذرات متذمر وبوميض يوشك أن يكون ناراً تأكل وتأتى على الأخضر واليابس وتحطم الآمال والأحلام .

مفاوضة الإنجليز

وخطر لمحمد عبده وهو فى باريس أن يتصل برجالات البريطان، وقد تتابعت وعودهم بالجلاء ليقنعهم بسرعة تنفيذه حيث أن الشعب ثائر ولن يقبل مطلقا هذا التدخل ولن يطيقه ، ولن يدفع الضرائب ولن يستكين كما أنه سيشعلها نورة وناراً على الانجليز إذا لم يسرعوا فى الجلاء ولكنهم كطبعهم مراوغون مفاوضون فى مماطلة فعاد يائسا . يشعل الثورة عن طريق العروة الوثقى .

احتجاب العروة الوثقى

والحق لقد أقلقت العروة الوثقى بالهم فشنوا الحرب عليها ومنعوا تسربها إلى أيدى المصريين والهنود ثم شنوا الحرب على هيئة التحرير التى تشرف عليها . وأخيرا انتصر الباطل واحتجبت العروة الوثقى بعد ١٨ عددا فى ثمانية أشهر وافترق الزعيمان جمال الدين إلى إيران ومحمد عبده إلى بيروت يؤلف الكتبّ ويلقى الدروس ويعلم بالمدارس ، وامتدت به مدة النفى إلى ست سنوات لأن الخديو توفيق لم يكن ليطيق أن يسمع عن محمد عبده وهو الذى كان يقول للإنجليز « إن توفيق باشا أساء إلينا أكبر إساءة لأنه مهد لدخولكم بلادنا ، ورجل مثله انضم إلى أعدائنا أيام الحرب لا يمكن أن نشعر نحوه بأدنى احترام ومع هذا إذا ندم على ما فرط منه وعمل على الخلاص منكم ربما غفرنا له ذنبه . إننا لا نريد خونة وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية » .

عودته إلى الوطن

ولما استوثق أصدقاء الشيخ من أنه لن يعود إلى الاشتغال بالسياسة العليا سمح له بالعودة فعاد إلى مصر .

موقف شائك

عاد إلى مصر وفيها الخديو يمقته ويكرهه ، والانجليز بيدهم كل شيء وشعب لم يتكون فيه وعى . عاد وفى ذهنه منهج ومناهج للاصلاح . إنه لا يؤمن بالثورة أبداً فى إصلاحه كما لا يؤمن بالطفرة . ولما أراد أن يناقش عرابى ليثنيه عن الثورة قال له « اضمنوا الهدوء والسكينة وأنا أضمن لكم أكثر مما تريدون بالتربية والتعليم » فصاح فيه عرابى « إما أن تكون معنا أو تكون مع الأمير » فسكت وقال معكم ولتكن تجربة ولما اندلعت الثورة جرفت الشعب فجرفت معها الشيخ .

تحليل

إن الأستاذ الإمام الهادىء فى طبعه المسالم فى إصلاحه كان يكون شيئاً آخر عندما يتصل بجمال الدين فلقد كان جمال الدين قوى التأثير ممتد الشخصية فى طغيان فكان الإمام يقع فى حبائل مغناطيسيته يتكلم ويكتب ويخطب مدفوعاً بقوة إيمانه ولنا فى الفرق بين أسلوبى محمد عبده فى الوقائع وهو حر وفى العروة الوثقى وهو واقع تحت تأثير

جمال الدين أقوى دليل على ذلك . كما أنه تعمد قطع الصلة بأستاذه قائلا « إنى معلم أنير العقول وأصفى النفوس وكل ميسر لما خلق له » .

سياسته

فكر محمد عبده بعد عودته إلى الوطن — فى المنهج الذى يضمن له تنفيذ خطته التعليمة للوصول إلى غايته . وأمامه حاكم يكرهه وانجليز بيدهم الأمر وشعب فى سبات عميق وكائدون يكيدون له وماكرون يمكرون به .

فهداه تفكيره إلى : —

١ — مسالمة الخديوى .

٢ — الاعتماد على الانجليز فى لباقة وحذر فهو يرى أن الإصلاح يأتى عن طريق تعليم الشعب فإن تعلم أدرك وإن أدرك الواقع الأليم غضب وإن غضب تحرر وأخرج الانجليز وتبوأ مكانته اللائقة . كما أنه اعتقد تماما أن الاعتماد على الانجليز وبيدهم الأمر أفضل السبل فى تنفيذ خطته هذا من جهة ومن جهة أخرى أن يسالم الخديوى حتى لا يعكر عليه صفو السير فى تنفيذ منهجه .

غير أن ثمة رأيا آخر كانت له شيعته وأنصاره الذى يرون الإصلاح والفلاح لن يقوم إلا بخروج الانجليز أولا فلتحيش الجيوش ولتعبىء كل القوى، لإخراج المستعمر وكانت مساجلات بين الرأين . كان يؤيد محمد عبده سعد زغلول باشا وفتحى باشا زغلول وحسن باشا عاصم ومحمود سليمان باشا من أعضاء حزب الأمة ويعارضهم مصطفى باشا كامل وعبد الله النديم وأعضاء الحزب الوطنى الجديد .

وهذه فتوى الأستاذ الإمام يوضح فيها منهجة ورأيه فى الاعتماد على الأجانب ، قد قامت الأدلة من الكتاب والسنة وعمل السلف على جواز الاستعانة بغير المؤمنين وغير الصالحين على ما فيه خير ومنفعة للمسلمين ، وأن الذين يعمدون إلى هذه الاستعانة لجمع كلمة المسلمين وتربية أيتامهم وما فيه خير لهم ، لم يفعلوا إلا ما اقتضته الأسوة الحسنة بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأن من كفرهم أوفسقهم فهو بين الأمرين : إما كافر أو فاسق فعلى دعاة الخير أن يجدوا فى دعوتهم وأن يمضوا على طريقتهم ولا يحزنهم شتم الشاتمين ولا يغيظهم لوم اللائمين فالله كفيل لهم بالنصر إذا اعتصموا بالحق والصبر » .

السيد رشيد رضا . . . والمنار

وهناك فى بيروت نحس بروح تستيقظ وبشاب ينفض الغبار عن أوراق أبيه فتقع بين يديه نسخة من مجلة العروة الوثقى ويكب على قراءتها فيقع فى قلبه حب ويصيبه هوى فيندفع فى شغف إلى جمع بقية الأعداد فيعثر عليها ويكب على قراءتها جميعاً حتى إذا فرغ منها وجد نفسه مسوقة إلى البحث عن جمال الدين وكان وقتئذ بالآستانه ، لكن الموت حال دون اللقاء فيمم وجهه شطر مصر حيث الأستاذ الإمام محمد عبده صاحب جمال الدين وتلميذه كان هذا الشاب المؤمن رشيد رضا .

هبط مصر عام ١٨٩٧ فوجد الإمام محمد عبده يحمل الفكرة الاسلامية وحده ومن حوله قله أشفقت عليه من تكالب الإعداء وتنكر الأحباب وهو يسعى حثيثاً نحو هدفه يحقق ما استطاع تحقيقه من اصلاح فى نظم التعليم وأداه الحكم رغم الهجمات التى كانت توجه إليه من أعدائه الثلاثة : — المعارض الذى لايرى رأيه والرجعى الذى يستنكر أحلامة والمغرض لهوى فى نفسه لكن الشيخ جاد

مؤمن بمنهجه صادق فى نيته صابر على نقد الناقدين وأذى المفرضين تارة باش فى تفاؤل وطورا يتزلف وقلبه يلعن وطورا يكظم الغيظ ويحتسب .

المنار

حينئذ بلتقى السيد رشيد رضا بالأستاذ الإمام ليشارك فى حمل الرايه ويرافق فى الجهاد ثم يعزم على إصدار مجلة تواصل المنهج الذى رسمته العروة الوثقى فينهج المنهج الذى نهجته وتسلك الطريق الذى سلكته فيخرج العدد الأول من المنار فى ١٧ مارس سنة ١٨٩٨

صدرت المجلة أولا أسبوعية وظلت كذلك مدة سنه كاملة ثم عدلت شهرية ابتدأ من العام الثانى وظلت محصورة لايكاد يتعدى قراؤها الخمسمائه حتى العام الخامس حين أخذت فى الانتشار رقد شقت طريقها .

وخلقت الوعى القومى الذى يرجوه الأستاذ الإمام والسيد رشيد اللذان والياها بأبحاث ومقالات تفيض أسأ وحسرة على ما وصل إليه المسلمون من ضعف واستكانه ثم والياها بمقالات تذكى فيهم الروح الاسلامية ... وهكذا

على هذا المنوال سارت المنار وقتا طويلا كانت فيه لسان حال الفكرة الإسلامية فى مصر ترد ناراً على المعارضين المغرضين وتلقى نورا حياً على الاسلام ونظمه وترشد المسلمين إلى سواء السبيل .

حادثة الوقف

ثم وقعت حادثة استبدال الوقف وخلاصتها أن الخديو عباس . أراد أن يستبدل وقفا دون دفع فرق يربو على العشرين ألف من الجنيهات . فأوعز الأستاذ الإمام برفض الاستبدال وأيده حسن باشا عاصم وعلم الخديوى بذلك وكتم غيظه ودفع بعض المتصلين به إلى أحداث حركة ترمى إلى خلع شيخ الجامع الأزهر السيد على البيلاوى وكان يرتاح إليه الأستاذ الإمام فى عمله ودعوته . ولما اشتدت الحركة استقال السيد على البيلاوى وعين الخديو بدله الشيخ عبد الرحمن الشربينى وهو ممن لايتفقون والأستاذ الإمام وخطب الخديوى فى حفلة الإنعام قائلا :

« إن الأزهر أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية إسلامية تنشر علوم الدين فى مصر وجميع الأقطار العربية

ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائماً ، ولكن مع الأسف رأيت فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويكثرون من أسباب القلاقل ...

وأول شيء أطلبه أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر والشغب بعيدا عنه ، فلا يشتغل علماؤه وطلبته إلا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيع العقائد وشغب الأفكار لأنه مدرسة دينية قبل كل شيء ، وقد استقال السيد علي البيلاوي رعاية صحته ، وقد جريت منذ اثنتي عشرة سنة على أن أقبل استقالة كل من يستقيلني من وظيفته فقبلت استقالته ومن يستقيلني من وظيفته سواه فأنا مستعد أن أقبل منه جريا على العادة التي اتبعها ومن يحاول بث الشغب بالوساوس والأوهام أو الإيهام بالأقوال أو بواسطة الجرائد والأخذ والرد ، ومن كان أجنبيا فأولى به أن يرجع إلى بلاده ويبث فيها مايريده من الأقوال والآراء المغايرة للدين ولمصلحة الأزهر والأزهريين .

وفاة الأستاذ الإمام

وواضح أن الخطبة تنم عن غيظ الخديو وتهديده لكل من الأستاذ الإمام والسيد رشيد رضا . أما الأستاذ الإمام فلم يلبث أن أحس بالمرض . . وكان سرطانا بالمعدة ففاضت روحه الطاهرة فى ١١ يوليه سنة ١٩٠٥ إلى ربها تشكو إليه ضعف الحال وقلة الحيلة وطغيان الأعداء .

جمعية الدعوة والارشاد

أما السيد رشيد رضا فواصل الجهاد دون كلل أو ملل بل فى حماسة وعنف وقوة وعلى صفحات مجلته كان يكتب ويدعو ويرد وينفذ ، وعلى صفحاتها بدأ من جديد يلهب النفوس ويزكى الأرواح ويركز الفكرة الإسلامية ويغرسها فى قلوبهم . . كان ذلك تمهيدا لدعوة جديدة لإنشاء جمعية إسلامية يكون مركزها مكة تحت رعاية الخليفة ولها فروع فى جميع الأقطار الإسلامية فالإخوة فى الإسلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسلمين أمة واحدة تحكم بكتاب واحد ولشريعة واحدة فى مقدورها

أن توحد بين الأجناس بمساواتها بين المسلم وغير المسلم فى الحكم .

كان السيد رشيد رضا يعلق آمالا على مركز « تركيا الفتاة » ولما انتصر مصطفى كمال عاد وعلق آماله على ابن السعود . وكان يقول « ومما لا شك فيه أن أمر ذلك الزعيم المشهور (مصطفى كمال) إنما هو كفر محض وارتداد عن الإسلام لا شبهة فيه » « أن ابن السعود أكبر قوة إسلامية فى الأرض بعد سقوط الدولة العثمانية وصيرورة حكومة الترك لا دينية ، وأن هذه القوة هى الوحيدة التى تنصر السنة وترفض البدع والدجل » .

فأخذ يدعو إلى إنشـــاء جمعية على غرار الجمعيات التبشيرية تنشىء المدارس الإسلامية ووفق بالفعل إلى إنشاء جمعية الدعوة والإرشاد بمصر سنة ١٩١٢ وأسندت الرياسة إلى محمود بك سالم والوكالة إلى السيد رشيد رضا الذى كان فى الوقت نفسه مديرا للمدرسة .

مدرسة الدعوة والارشاد

غرضها تخريج دعاة للفكرة الإســـلامية وأعداد مبشرين لها . وكانت مدة الدراسة بالمدرسة ست سنوات .

يدرس فى الثلاثة الأولى أصول الفقه الإسلامى والتاريخ الإسلامى والتفسير والحديث ويمنح الناجحون شهادة مرشد مهمته الدعوة للاسلام بين المسلمين . ويدرس فى الثلاثة الأخيرة تاريخ الأديان الأرضية والسماوية والأديان المختلفة الكبرى أصولها وفقهها وعقائدها ويمنح الناجحون شهادة داع ومهمته الدعوة للاسلام بين غير المسلمين .

وافتتحت المدرسة ، واستجلب من الأقطار الإسلامية طلابا تسكنهم وتمدهم بالغذاء والكساء على نفقتها لكن القدر لم يمهلها كى تكمل رسالتها وتحقق غايتها إذ تشبث الحرب العالمية الأولى فتعطلت الدراسة وأغلقت المدرسة ولم تعد حتى اليوم .

ومرت سنوات الحرب بخيرها وشرها وانهارت دول وقامت دول وهزمت ممالك وانتصرت أخرى وخلفت الحرب أزمات اجتماعية واقتصادية عصرت الأمم والممالك فكانت السنوات التاليات حوالك عجاف شغلت الناس عما دون الرغيف وفى الوقت ذاته كانت الشيوعية توطد دعائمها لبث سمومها فى العالم كله .

الإمام الشهيد حسن البنا

فى هذه الأيام كان يتردد على كتاب القرية غلام فى عيونه ذكاء وفى وجهه ضياء وفى قلبه إيمان يدفعه إلى التردد على مشايخ الطرق الذين يفدون على القرى ولما يفع وجد المنار تحمل حكما طالما تحرجت فى صدره وتحمل أفكارا طالما خطرت على باله فصار يترقبها فى شغف ولهفة يقرأ ويعيد ما يكتبه السيد رشيد رضا ثم ينتقل صاحبنا إلى القاهرة ليدرس فيلتقى شخصيا بالسيد رشيد رضا وتصاحبا فى الله وتعاهدا على إعلاء كلمة الله ، وكتب صاحبنا فى المنار بنفس الروح التى ورثها السيد رشيد عن الإمام عن السيد جمال الدين .

وكما تلفظ مدارسنا أبناءها لتلقى بهم إلى مجتمع صاحب لفظت مدرسة دار العلوم صاحبنا لتلقى به فى الإسماعيلية . ذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا .

ضعف

ولعل ما بالاسماعيلية من مدنية غربية أبعدت المسلمين كثيرا عن دينهم وما خلفته الامتيازات الأجنبية المادية

من شعور بتميز الأجنبي ، كان أوضح ما يكون فى الاسماعيلية ومنطقة القنال : المسلم ذليل على الأجنبي وإن كان كيسا فطنا والأجنبي عزيز على المسلم وإن كان أبله غبيا بل لقد خلق هذا التميز تيارا من التشبه بهم فنساء كاسيات عاريات مائلات مومِلات ، ورجال يرون الكمال فى تقليد الأجانب يدفعون أولادهم إلى مدارسهم تشبها لا تفضيلا : أخلاق منحلة ودين ميت لا حياة له فى النفوس . ونفوس مريضة وأرواح أفسدتها الحياة المادية .

ولعل هذه الأوضاع هى التى أزكت روح الحماسة فى قلبه وأشعلت نار الغيرة على أهله وإخوانه ودفعته إلى العمل العنيف ، هذا إلى جانب ما تركز فى ذهنه من صور حقيقية عن الإسلام وما وقر فى قلبه من معان سامية تكفل للفرد عزة وللمجتمع سيادة :

أفكار . وحقائق

الإسلام نعمة السماء على الأرض ورحمة الله بالناس وشرعة الخالق لمن خلقهم شرع لهم أفضل تنظيم اقتصادى يحل كل مشاكل الفقر والمرض والجهل . وكفل لهم أعدل

قانون يحقق الأخاء والحرية والمساواة . قرآن ما فرط منه شيء من مطالب الناس ، وحياة للرسول الكريم كانت مثلاحيا يلخص كل ما يعرض للناس من مسائل وما ينبغى أن يكون عليه سلوك المسلمين .

ولعل الإسلام فى اتخاذه الله قاعدة وأساساً لكل نظمه وتشريعاته إنما يلبي جانب الروح فى الإنسان المكون من عنصرين روح ومادة : والروح فعالة بحركة فإن اتصلت بالله منبع الخير والكمال دفعت الإنسان إليهما يحقق منهما ما شاء الله له أن يحقق وإن احتجب عن الله فلم تر أمامها إلا مادية مهلكة اندفع الإنسان إلى التهلكة يمارسها فى تهافت وتكالب .

وبهذا المنهج الربانى يربط الإسلام الإنسان بالله فى حب يفوق النفس فيطيع أوامره ويجتنب نواهيه . ومن خلال هذا الجانب الروح يقنن الإسلام ويشرع فتكون للقوانين والشرائع حلاوة فى نفوس المسلمين ، ولذة فى التنافس على طاعتها واجتناب نواهيها ، ذلك لأن الجانبُ الروحى فى الإنسان أقوى أثراً يكاد يأتى بالمعجزات .

وهذا أبو بكر يأتى بماله كله ليضعه بين يدى رسول الله

وحينما يسأله « وما تركت لأهلك » فيجيب تركت لهم الله ورسوله ، وهذا عثمان بن عفان تأتيه عيره محملة بالبضائع من الشام والمسلمون فى قحط والناس فى جوع والقوم فى انتظار البضاعة ويأتيه التجار يعرضون عليه شراءها بأضعاف ثمنها فيرفض ثم يقوم ليوزعها على المسلمين بلا أجر . فهل تفعل سلطة القانون مهما بلغت من قوتها ما فعله الإسلام فى أبى بكر وعثمان وغيرهما ؟.. لكنه سلطان الضمير الذى أن استيقظ علا على الدنيا وارتفع على الماديات وقام بالمعجزات .

وكما لبى الإسلام مطالب الإنسان الروحية أجاب مطالبه المادية فى تنظيم — فلا إفراط ولا تفريط — بل مايكفل للانسان أن يحقق إنسانيته سوياً فى هذه الدنيا فثمة تنظيم لشهوة البطن « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع » وتنظيم لشهوة الفرج « وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ولم يترك الإسلام مطلباً من مطالب المادة إلا وكانت نظرته إليه نظرة تنظيم بما يكفل إشباعها فى غير ما كبت أو تهافت .

والدنيا دار معاش والمعاش معين على المعاد ووسيلة

إليه ، والناس بالنسبة لمعاشهم ومعادهم ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . ولن ينال رتبة الاقتصاد إلا من تأدب فى طلب معاشه بآداب الشريعة .

والإنسان ليس فرداً بل هو عضو فى جماعة ، وللجماعة عقل جمعى يختلف عن عقل الفرد فى مظاهره ومطالبه ، فكان الإسلام وهو رحمة الله بالبشر ، ونعمته على الناس تنظيمات ثلاث تكفل لهم السعادة والطمأنينة :

١ — تنظيم اقتصادى يهيء للناس جميعاً الرخاء .

٢ — تنظيم سياسى يكفل لهم العدل والحرية .

٣ — تنظيم اجتماعى يكفل لهم المساواة .

وبهذا يكون الإسلام نظاماً أصيلا فى فكرته أصيلا فى منهجه ، واحداً وكلا لا يتجزأ متكاملا لاينقصه شيء ولا يبغى أن يزاد عليه شيء .

ولعل الإسلام بهذه الأصالة وهذه الوحدة ، وهذا التكامل هو المنهج الوحيد الذى يأخذ بيد البشرية الضالة المعذبة .

صحيح أن الإنسانية خطت فى التقدم العلمى خطوات ، ولكنه تقدم مادى ، ومن خصائص الحضارة المادية أنها تأكل نفسها ، فالتجديد الذى تشيد به العمارات الضخمة ، وناطحات السحاب تبنى به الطائرات التى تدكها وتفنيها . وبالطائرات التى تقرب البعيد وتربط الأفكار ، بها نفسها تحصد الأرواح وتقتل الأنفس وبالميكروبات التى اكتشفت فأنقذت الآلاف والملايين من أوبئة وأمراض ، بها نفسها تهدد بعض الدول لتبيد الآلاف والملايين .

ذلك لأن الحضارة نشأت مادية لا روح فيها ، بدنا لا حياة فيه ، فلا هى تتكيف ، ولا هى تتأقلم وفق أطوار المجتمع المختلفة ، بل قاسية صلبة تتكسر عند أول ارتطام لها.

ولا ينقص هذه الحضارة إلا دين يهذبها ، وروحانية تصقلها ، فتحيل قسوتها رحمة ، وظلمتها نوراً ، وظلمها عدلا ، دين يرفعها من حضيض المادة إلى سماء الروح .. ومن جاهلية التعصب إلى حرية الفكر ، ومن قومية تنتهى بحدود جغرافية إلى عالمية تشمل الإنسان أسمى المخلوقات وأرقى الكائنات .

والمسلم بذلك أستاذ البشرية كلها ، يحمل بين جنبيه أسمى رسالة فى الوجود . ومن أجل ذلك كان المسئول الأول عن ضلال الناس وخطاياهم .

والمسلمون لأن كان فى نفوسهم مرض ، ولأن كان العالم كله يموج ويتخبط فلا سبيل إلى صلاحهم وصلاحه إلا بالعودة إلى الإسلام ديناً ودولة، وصدق الله العظيم حيث يقول : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . وصدق رسوله الكريم حيث يقول : «خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل إلا فشى فيهم الفقر ، وما فشى فيهم الزنا إلا فشى فيهم الموت ، الله وما طففوا المكيال إلا منعوا النبات ، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر ، ولولا البهائم لم يمطروا» .

تبليغ

راح الإمام الشهيد فى حماسة المسئول الذى يشعر بثقل العبء والتبعة يبث هذه الحكم الساميات وهذه المبادىء الخالدات فى نفس كل من يلتقى به ، ولما اجتمع عليه بضعة نفر راح يربيهم تربية ربانية تربطهم بالله ، فلما استقاموا افتتحت الشعبة الأولى للإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ ، وصار يحقق وحده ما شرع فى تنفيذه السيد رشيد رضا ووقفت الحوادث دون إتمامه . اتخذ من أنصاره طلاباً

يربيهم ويعلمهم فى نهج تربوى دقيق . . . ومتى أتم أحدهم دراسته دفعه ليحمل لواء الدعوة فى البلاد . . . ولم يمض وقت طويل حتى كانت للإخوان فروع وشعب فى كافة أنحاء البلاد مدنها وقراها .

منهج

ومضت الدعوة على نهج تعليمى تربوى ترتبى أتباعها تربية دينية ، تصقل أرواحهم وتهذب نفوسهم وتربطهم بالله فى إيمان عميق . والأستاذ الإمام الشهيد مدرس بطبعه مرب بفطرته ، فاستطاع أن يغرس فى الرعيل الأول هذه المعانى الإسلامية . كان يجتمع بهم فى « كتيبة » يبيتون الليل فى دراسة وتهجد وتعبد ، حتى إذا ما آذن النهار بالإشراق افترقوا كل يؤدى عمله فى اتقان المؤمن محاسباً نفسه فى كل كبيرة وصغيرة باكياً على خطاياه ، مستغفراً من ذنوبه ، تائباً إليه تعالى يعيش على الأرض بنفس تكاد لا تكون منه من كثرة التعلق بالله ودوام الصلة به ، فلم نلبث أن رأينا نماذج مسلمة تتحرك على الأرض باسم الله ولله .

مهاد

وبدت النماذج غريبة على الناس شاذة بالنسبة إليهم والناس عبيد ما ألفوا ، فاعترض القوم على الدعاة فيما يعملون وفيما يقولون ، وتمسك الدعاة بما يقولون وبما يفعلون . فكان جهاد يقاوم الدعاة فيه نظرات السخرية لهم ، واعتراض المعترض عليهم ، وتزاحم الناس على إحراجهم وهم ماضون فى دعوتهم ، فرحون بما أفاض الله عليهم من نعمه ، وما أفاء عليهم من هدى متأكدون من أستاذيتهم على البشرية شاعرون بعبء المسئولية .

فتح

وللحق قوته وللحق رهبته فلم يلبث القوم أن خشعوا ثم لم يلبثوا أن لبوا ، فكان فتحاً مبيناً ونصراً عجيبا . ففى القرى كانت لهم شعب ، وفى النجوع كانت لهم شعب ، وبين الطلاب سرت الدعوة فانتشرت وحولت قلقهم إلى سكينة ومجونهم إلى إيمان ، وتسكعهم فى الشوارع إلى جهاد فى نشر الدعوة . كان فتحاً عند ما رأينا من التجار من يخشى الله فى تجارته ، ومن الصناع من يخشى الله فى صنعته ، ومن الزراع

من يخاف الله فى زرعه . ولكن مرافق الحياة فى مصر كلها فاسدة مريضة ، لاأثر فيها لتعاليم الإسلام فافتتحوا المدارس تربى الأطفال على النهج الإسلامى وتصنعهم بالفكرة الإسلامية وأنشأوا الشركات التجارية ، قدوة عملية فى المعاملات الإسلامية وأنشأوا المستشفيات تعالج مرضى المسلمين الفقراء فى رحمة وإشفاق . ثم أنشأوا مجلة وجريدة تنقلان أفكار الإسلام وتربطان بلاد المسلمين بقراءة أخبارها تدافعان عن قضايا الوطن الإسلامى .

وأعداء الدعوة الإسلامية من العالم كثيرون ، طغاة يخشون قصاص الإسلام ومنتهزون يخافون ردع الاسلام ومستعمرون وشيوعيون يخشون قوة الإسلام ، فلأن كان الأعداء يخافون الدعوة الإسلامية فى ذاتها فإنهم بعد هذا التركيز فى المدارس والتربية الربانية فى الشباب والانتشار السريع فى الشعب والقدوة والمنهاج العملية فى الشركات والدعوة القوية إلى الحق فى الجريدة والمجلة . إنهم لأشد خوفا ورعباً ، فراحوا يلتمسون الأسباب للتشويش على الدعوة من اتهام لقادتها ، واعتراض على منهجها فى أسلوب بذىء إلى دس الدسائس ورسم الخطط

لتنفير الناس عنها، ولكن الدعاة ماضون فى دعوتهم لانهمهم الدنيا ماداموا مع الله ولا يثنيهم الإيذاء مادام فى سبيل الله .

حرب فى سبيل الله

والإسلام دين الناس كافة والوطن الإسلامى حيثما يقوم مسلم متخطياً فى ذلك الحدود الجنسية والجغرافية ، فالمصرى والهندى والعراقى والبولندى سواء ، وأوطانهم وطن الاسلام وبلادهم بلاد المسلمين ، مثلهم فى توادهم وتراحمهم كمثل البدن إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وكانت محنة فلسطين ومأساتها فهب الإخوان المسلمون فى القطر يحملون علم الجهاد لإنقاذ فلسطين ، وتكونت فى الحال كتائب الجهاد للذود عن البلد الحبيب وثانى القبلتين ، ونزلت قوات الاخوان أرض فلسطين وخاضوا المعركة فضربوا للناس أروع الأمثال فى الاستشهاد فى سبيل الله .

حل ومحنة

ولمس الأعداء قوة الإخوان المادية والمعنوية فتدخل

المستعمر يطالب بحل الإخوان ، فحلت جماعتهم . . وكانت محنة وبلاءاً وكان امتحاناً وابتلاءاً اعتقل أبطال فلسطين فى رفح ، واعتقل الأتباع والأنصار فى الطور وها كستب ، وزج فى السجون شباب برىء بتهمة الدعوة إلى الله وشرد من شرد ونفى من نفى ، وصودرت الأموال والممتلكات وساد الشعب جو مرهق من الإرهاب ، من أمسى لا يطمئن على نفسه أن يصبح ، ومن يصبح فلا يطمئن على نفسه أن يمسى . ثم قتل الإمام الشهيد حسن البنا فى تدبير سوف يذكره التاريخ بمداد الأسى والحزن عنواناً على ضعف أخلاقنا وانحلال نفوسنا .

برد وسلام

كان الاعتقال فى حقيقته اعتكافا تجمع فيه الإخوان يتعبدون ويدرسون ويصقلون نفوسهم ويهذبون أرواحهم . كان امتحاناً فرق بين من كانوا يحملون الدعوة ومن كانت تحملهم الدعوة أما الأولون فثابتون صابرون فى روضة التعبد ، أما الآخرون فقلقون تكشفت نفوسهم وظهرت خفاياهم .

كان أملا من آمال الإخوان أن يجتمعوا فترة من الزمن يطرحون فيها الدنيا وراءهم يعكفون على العبادة والاتصال بالله . فالاتصال به هو السلاح الوحيد الذى يستمد منه الإخوان قوتهم . وكان أملهم حقيقة وكانت الحقيقة إرادة الله وإرادته خير لدعاته ولمن يجاهدون فى سبيله .

عودة

والليل وإن طال فلا بد من صبح ينهيه ، والظلم وإن دام فلا بد من عدل يتوجه ، والأيام كفيلات بإحقاق الحق وإزهاق الباطل ووضع الأمور فى نصابها ؛ وعاد الإخوان أكثر ثباتا وإيمانا بدعوتهم عادوا إلى مجد أعلى من مجدهم وبقوة أشد من قوتهم وبنشاط أزيد من نشاطهم . عادوا ليواصلوا السير فى طريق الله ويواصلوا الجهاد لإعلاء كلمة الله ونشر دينه ودعوته .

حسن بك الهضيبي المرشد العام

مستشار أضاف إلى ثقافته القانونية تعمقا فى دراسة الإسلام وإيمانا به وقر فى قلبه . . . التقى بالإمام الشهيد

يوماً فكانت بيعة وجهادا صادقا لمسه الإخوان فى محنتهم .
كان نعم الأخ المعين فى الشدة ، يؤثر على نفسه إخوانه فى الله ممن شردهم الطاغوت وسجنهم الطغيان .

عاد الإخوان . . . وبايعوه مرشدا لهم ليحمل لواء الفكرة الإسلامية على نهج القرآن الكريم ينهج ، وعلى حذو الرسول الكريم يحذو ، وباسم الله وعلى بركته يسير .

وتجىء محنة الوادى والناس يأملون فى النصر على أيدى الإخوان ، ويترقبون الخير فى ركابهم يثقون فى رجولتهم ويعتمدون على بطولتهم .

وتجىء محنة الوادى والناس يتساءلون عن موقف الإخوان وما أعدوه فيرد عليهم فضيلته فى بيان لهم : « إن رأى الإخوان واضح فهم يطلبون أن يحكم الإسلام تحكيما تاماً فى حياة الأمة كلها فهو دين متكامل غير قابل للتجزئة يسير بالحياة فى نظام عجيب ، كلما دققت فيه النظر وجدته مما لا يمكن أن ينقص منه شىء أو يزاد عليه شىء ، وقد أخذ الإخـــوان المسلمون أنفسهم بذلك فنفذوه فيما فى طوقهم تنفيذه » .

وواضح بدهى أنه ما دامت الغاية قد حددت فالبرامج

تفصيلات تأتى فى مواقيتهـــا وفقا لما تتطلبه الظروف والأحوال .

نسأله تبارك وتعالى أن يوفق المرشد الجديد للإخوان فى رسالته الخـالدة ، وأن يعينه ويشد أزره إنه سميع مجيب الدعاء .

تحليل ونتيجة

١ — أن دعوة تظهر على لسان رجل كجمال الدين يركزها فى تلاميذ ويغرسها فى شعب فتفجر الوعى عن ثورة دامية يقضى عليها بنفى التلاميذ والأنصار .

٢ — يعود التلاميذ للوطن فيحملون الدعوة نفسها ليرثها آخرون فتنشر بين الشعب كله فى حركة الإخوان المسلمين ، ثم تتوج بجهاد واستشهاد خالص لله فى فلسطين ثم تقابلها المحنة ويظن الأعداء أن قد قضى عليها بقتل قائدها وسجن أنصارها واعتقال اتباعها .

٣ — ولـكن يعود الإخوان يحملون الدعوة وكأن الاضطهاد لم يزدهم إلا إيمانا وثباتا ، وتعود الدعوة أكثر انتشاراً وذيوعاً .

ألا تدل تلك الأحداث وتلك الظواهر وهذا الثبات على أن الإسلام هو الرغبة الأكيدة للمجتمع ؟

ألا يدل ظهور الدعوة بعد النفى عقب الثورة العرابية وظهورها وذيوعها عقب محنة الإخوان وقتل قائدها على أنه الإلحاح الجمعى ، وإصرار المجتمع على سيادة هذه الدعوة كنظام ؟

أغلب الظن أن جمال الدين ومدرسته فى جهاده وطرده ونفيه ، والإخوان المسلمين فى تضحيتهم وجهادهم وتحملهم الأذى . . . مع زيادة عددهم . أغلب الظن أنه الإرهاص الحقيقى للنظام الجديد .

سيعود الإسلام ليحكم مصر .

مع المكان . . .

تمهيد . سياسة المستعمرين

كان كرد فعل اجتماعى لسيطرة المسلمين على الأوروبيين أن تسرب نشاطهم إلى أمريكا وكانت وقتها حديثة الاكتشاف . ولما تسلحوا هناك بالمال والعلم والزاد عادوا يشنون الغارات على الإسلام فكانت حروب وثورات ومعاهدات ومفاوضات تمخضت عن سياسة عامة بين جميع الدول الاستعمارية على السواء . سياسة تم التفاهم عليها حتى بين الدول المختلفة على بعضها كأنها الامر المشترك لحيويتهم جميعا وكيانهم جميعا . وتتلخص السياسة الاستعمارية بصدد الاسلام وبلاد المسلمين :

١ ــ التفرقة بين الدول الإسلامية ومحاولة توسيع الشقة بينها بخلق مشاكل خاصة فى كل بلد إسلامى تلهيه وتشغل مواطنيه حتى عن محاولة الاتصال بالدول الأخرى.

٢ ــ غزو اجتماعى اقتصادى من شأنه تربية طائفة من الأمة تؤمن بما يشيرون به وتستنكر مايرغبون عنه .

ولقد وصلوا إلى تحقيق غرضهم الأول بنشر وتشجيع الدعوات القومية ، فلكل وطن مطالبه الخاصة به كما له أيضاً مشاكله الخاصة به ، وهو بهذه المطالب وهذه المشاكل أولى البلاد والأقطار بجهاد أبنائه ومواطنيه، فلتتكون الأحزاب التى تهدف إلى تحقيق هذه المطالب وحل هذه المشاكل ولتختلف قصدا فى وسائلها ومناهجها ليتخذ المستعمرون من اختلافهم ذرائع للماطلة وإضاعة الوقت وتفويت الفرص ، ومن ثم كانت فى العالم الإسلامى قضايا عديدة مستقلة فثمة قضية مصر وقضية تونس وهناك قضية إيران وقضية كشمير ، وكل قضية تبلغ من العنف والقوة مايلفت إليها أنظار المواطنين بل تشغلهم وتستنفد كل جهدهم وبالتالى تلهيهم عن تحقيق الغاية الإسلامية الأولى وهى تحقيق الجامعة الإسلامية . ونجحوا فى ذلك نجاحاً منقطع النظير حتى رأينا أحد المغالين من أصحاب الدعوة الطورانية يقول : « إنه إن كان للعرب الذين ظهر الاسلام بهم وظهروا به بدأوا بمعاكسة أوامره ونواهيه وأخذوا بالسياسة القومية فالترك الذين لم يكن الاسلام إلا دخيلا فيهم أولى بتركه ما تركه العرب .

كذلك فى كل بلد طوائف لاتنتسب إلى الإسلام فثمة أقباط بمصر وثمة هندوك بالهند وهناك مسيحيون بالشام وهكذا .

وهناك أيضاً قبائل تمتد بطونها فى أكثر من دولة كما أن هناك فى بلاد المسلمين أرض تعتبر مقدسة لدى بعض الأديان وعليه فلتنشأ مشاكل على كل وضع من هذه الأوضاع .

فمشكلة الطائفية تتزعمها :

مشكلة الأقباط فى مصر

نشأت هذه المشكلة مع نشأة الحركة القومية للتحرر من نير الاحتلال البريطانى ولم يرو لنا التاريخ أن مصر انقسمت هذا الانقسام الطائفى إلا فى مثل هذه الأوقات فقد كان يعيش الأقباط إلى جوار المسلمين فى مساواة وحرية وإخاء . فى عزة من عزتهم ومجد من مجدهم وما رأينا هذا التميز إلا حينما ابتدأ البريطانيون يلعبون ويخدعون .

والسر فى ظهور هذه المسألة واضح جلى . إذ يفترض

لحلها أن ينفض المسلمون المصريون أيديهم من دينهم كدولة وشريعة تسود كل أمم العالم الإسلامى وعليهم إذن لكى يعيشوا فى هدوء وسلام ألا يطالبوا يوما بحكم ما أنزل الله فهم مصريون قبل أن يكونوا مسلمين وإلا فالطريق وعر شائك يفقد فيه المسلمون أكثر مما يكسبون . وبهذه المعانى سمعنا الزعماء يدعون ويؤكدون حتى كادت تختفى دولة الاسلام وإمكانية نشوئها فى أذهان المسلمين . كذلك أصبح من الصعب أن تقنع مسلماً بها .

وسنرى لو استمر المستعمرون يعبثون وقبط مصر يطالبون بإنشاء دولة قبطية بحجة أنهم أهل البلاد الأصليين كما أن لهم فى دولة اسرائيل أسوة وقدوة .

جامعة الدول العربية

وفى الجامعة العربية سنرى لوناً آخر من الخداع السياسى الاستعمارى فإذا كان العالم كله يسير نحو التكتل الذى أصبح الميزة الاجتماعية فى وقتنا الحاضر . وإذا تركت الدول وشأنها اصطبغ تكتلها ولا شك بصبغة أقوى عوامل التجمع وإذا كان الدين يعتبر أقواها وأحياها فى الشرق فإن دوله

ستكتل دون أدنى ريب وفق الدين وتعاليمه . ومن ثم تتحقق الجامعة الإسلامية . الأمر الذى يزعج الدول الاستعمارية ويرعبها . فتتدخل على طريقة إحلال هدف بآخر وغاية بأخرى لتجمع بعضها بل أكثرها على أساس الجنس وتكون الجامعة العربية . فتصرف هذه الجامعة الجديدة أذهان الناس عن أن يفكروا فى تكوين الجامعة الإسلامية كما تنفث هذه الجامعة العروبية عن غريزة التكتل الطبيعية وفق الدين . وتظهر الجامعة العربية متشحة برداء من الحرية والوحدة . ولكن الأحداث أثبتت أنها تعمل للخطة المرسومة .

دولة إسرائيل

وزعم الضمانات القوية التى وضعت لتحول دون التطور الطبيعى للتكتل من خلال هذه الجامعة الصناعية . فإنهم وضعوا أسفيناً جديداً فى هذه الجامعة ومناطقها .

لقد كان حلماً بدده الواقع الحى ، وكان سرابا لا يمكن الوصول إليه بل كان أملا يتراءى فى بعد ويأس فى أذهان اليهود أن تكون لهم دولة . . . !!

لكن المستعمر اليقظ والسياسى المخادع وجد فى جعبته ما يصلح ليكون أقوى الضمانات وأحصن الأسافين . فانطلقت الأبواق اليهودية بإنشاء الدولة . . . وكانت حرباً كلها تمثيل وخداع انتهت بقيام دولة اسرائيل التى أصبحت فى الواقع شوكة وأسفيناً يستعمل فى الوقت المناسب لتحطيم فكرة الجامعة الإسلامية .

والوقت إن طال بنا وامتد كفيل بتحقيق هذه السياسة الخائنة فسيتم التحالف بين إسرائيل ودول الجامعة العربية . دولة دولة حتى إذا ماتم التحالف واكتمل العقد نودى بانضمام اسرائيل إلى جامعة الدول العربية وبذلك يتم القضاء على الأمل الواهن والسم الضيق الذى كان قد يقفز منه يوماً لتكوين الجامعة الإسلامية من خلال هذه الجامعة العربية .

كما يمكن اعتبارها الثغرة المفتوحة فى خطوط الجامعة الإسلامية إن شاءت المقادير وظهرت فى الوجود لتناضل وتصارع بحضارتها حضارات المستعمرين الذين ينظرون إلى الإسلام كأمة واحدة مهما تفككت أجزاؤها وتباعدت أفكارها حتى شبهها ليوتى بصندوق رنان إذا ضربت رأسه رن إلى كعبه ، فسياسة الدول المستعمرة

هى سياسة من يعلم شدة ارتباط الإسلام بعضه ببعض فإن لم يتأت منع هذا الارتباط تماماً فعلى الأقل العمل على أن لا تظهر له نتائج فعلية .

تضامن استعمارى

كذلك بلغ التضامن الاستعمارى بين الدول المستعمرة على اختلافها واختلاف نزعاتها حداً جعلها تتخاطب فى المسائل الاستعمارية كأنها الأمور المشتركة بينها يقول الأمير شكيب أرسلان بصدد ثورة الريف على أسبانيا : « جمعنى القدر بأحد رجال الحكومة الأسبانيولية فتجاذبنا أهداف القضية الريفية ، ولما كنت أنصح بالصلح مع زعيم الريف على قاعدة استقلال هذه المنطقة أقسم لى أن أسبانيا تود من أعماق قلبها مصالحة هذه الأمة ، والاعتراف باستقلال الريف رسمياً . ولكن فرنسا وانكلترا تمنعانها

من هذا الاعتراف و تستظهران عليها بالمعاهدات المشتركة

فترى أسبانيا من هذه الجهة فى حيرة فهى قد أخلت الريف إلى الساحل ولكنها كما لا تقدر على امضاء صلح رسمى مع عبد الكريم (زعيم الريف) لا تقدر أن تستمر على محاربته .

الغزو الاجتماعى

وقد ساعدهم على تنفيذ هذه السياسات والمآمرات غزو اجتماعى اقتصادى تربوى كانوا قد مهدوا به قبل أن يظهروا بسياساتهم ومؤامراتهم وصدق الإمام الشهيد حسن البنا حيث يقول : « وقد عمل الأوربيون جاهدين على أن تغمر موجة الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الإسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم . مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة . وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى إحكاماً شديداً واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا .

أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونوه عليهم ، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى وأن يغرقوا البلاد برؤوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادى كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة .

وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة فى أقوى بلاد الإسلام .

وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالتهم وعبثهم ومجونهم وأباحوا فيها من الجرائم مالم يبيحوه فى ديارهم وزينوا هذه الحياة الصاخبة العابثة التى تعج بالاثم وتطفح بالفجور فى أعين البسطاء الأغرار من المسلمين والأغنياء وذوى الثراء فيهم وأهل المكانة والسلطان .

ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية فى عقر ديار المسلمين . تقذف فى نفوس أبنائه الشك والإلحـــاد . وتعلمهم كيف يتنقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربى ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوربيين وحده هو المثل الأعلى فى هذه الحياة . واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفا عليها وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون

بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور فى هذه الأمم والشعوب ومن لم يتم نضجه فى هذه المعاهد الموضوعية فإن فى البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام .

ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح .

تحليل

وواضح جلى أن شهـــدة الغزو على البلاد الإسلامية تفاوتت حسب المركز الجغرافى والثروة الإقليمية وكثافة السكان كما اختلفت أشـــكاله حسب البيئة الجغرافية وتحضر المواطنين .

فبلاد كتلك التى تقع فى شبة الجزيرة وما يشابهها صحراء جرداء يقل ماؤهـا وزرعها وتكثر قفارها وأشواكها . بسكان ما زالوا على طريقة الرعى يعيشون لا استقرار فى حياتهم بل جهاد وهجرات من أجل العيش . قوانيهم تقاليد وأحكامهم أعراف . بلاد كهذه يكتفى بصددها غزو الطبقات الحاكمة طمعا فى أنهم الأداة الوحيدة فى السيطرة عليهم . ولكن لا طاعة لهم إلا فيما توارثوه من تقاليد وأعراف .

وبلاد كمصر والهند وإيران لها مراكزها الجغرافية الممتازة وثرواتها الإقليمية الوافرة وبها نهضات علمية تكاد ترفعها إلى مراتب القيادة بلاد كهذه لا شك أن الغزو بصددها ينبغي أن يكون بشتى وسائله وأعنفها كما ينبغي أن يكون بشتى أشكاله : فمن غزو سياسي يرمي إلى التفرقة بين المواطنين إلى آخر اقتصادي يؤدي إلى امتصاص الثروات الوطنية إلى ثالث اجتماعي يرمي إلى الانحلال الخلقي . ومن غزو بالجاليات والسكان إلى غزو برؤوس الأموال والسلع .

النوع الأول بلاد على فطرتها

أما النوع الأول من الأقطار فواضح أن الشريعة الغراء ما زالت تسودهم وتحكمهم ولكن في جمود مشتق من جمود طبيعة بلادهم ، وثبات على الأطوار الأولى بسبب عدم تطورهم وغرابة بسبب ضعف مستواهم العلمي فلا قياس ولا اجتهاد .

المملكة العربية السعودية

تقع فى قلب الجزيرة العربية وتمتد من الخليج الفارسى حتى البحر الأحمر ومن حدود الشام حتى مشارف اليمن فهى أوسع البلاد العربية مساحة ولكنها أقلها سكانا .

وتحكم البلاد العربية السعودية بموجب الشريعة الإسلامية وتطبق فى محاكمها حدود الاسلام فتقطع يد السارق ويرجم الزانى ويقتل القاتل وتجبى الزكاة . ويقيم الامام الحدود الشرعية .

وجماعة الأمر بالمعروف بالبلاد مهمتها الطواف فى الأسواق عند حلول أوقات الصلاة تدعو المؤمنين إلى أدائها فى أوقاتها .

ولاعجب فى ذلك فآل سعود هم الذين احتضنوا الدعوة الوهابية التى أسسها محمد بن عبد الوهاب فى نجد وآزرها وأيدها محمد بن سعود أمير الدرعية . فكان فتحا مبينا أن اجتمعت السلطتان سلطة القلم واللسان ممثلة فى الداعية محمد بن عبد الوهاب وسلطة السيف والسلطان ممثلة فى الأمير محمد بن سعود ، فكان جهاد فى سبيل الله وكانت حروب وغزوات لا مجال لذكرها .

كانت شبه الجزيرة العربية أمارات منفصلة إحداها نجد وكان يتنازع الامارة فى نجد آل سعود وآل الرشيد وكانت الحروب سجالا بينهما انتهت بانتصار آل سعود وعلى رأسهم الملك الحالى عبد العزيز آل سعود وتطلع عبد العزيز آل سعود إلى ضم إمارات الجزيرة فكانت حروب آخرها تلك التى قامت بينه وبين الملك حسين والتى انتهت باستيلاء جيش السعوديين على الحجاز ودخول مكة .

وتنازل الملك حسين الهاشمى لولى عهده الملك على تلبية لدعوة الحجازين الذين ظنوا أنهم بهذه الطريقة يحملون ابن السعود على التراجع عن الحجاز وعقد صلح مع الملك الجديد ، لكن ابن السعود أعلن أنه سيتابع الحرب حتى إخراج الهاشميين من الحجاز ورفض كذلك وساطة المتوسطين وأهمهم طالب بك النقيب من البصرة وأمين الريحانى من لبنان والمستر فيلبي من لندن فحوصرت جده وانتهى حصارها باتفاقية التسليم بين ابن السعود وبين الملك على الهاشمى وبذلك تم له الاستيلاء على الأراضى الحجازية فكتب إلى ملوك المسلمين يدعوهم إلى عقد مؤتمر لتقرير مصير الحجاز ولما لم يرد على الدعوة غير جمعية الخلافة فى الهند طالب من الحجازين تقرير مصيرهم .

البيعة

فتقدم أهل الحل والعقد فى الحجاز بالكتاب التالى إلى ابن السعود .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده نبايعك ياعظمة السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل السعود على أن تكون ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله

ولاية العهد

لم يكن هذا النظام معروفا من قبل فى نجد بل كان أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء وشيوخ القبائل يجتمعون فى الرياض يوم وفاة الإمام ، ويختارون إماماً توفرت فيه الشروط المنصوص عليها فى كتب الشريعة الإسلامية ورأى بعض الأقطاب دفعاً للقيل والقال أخذ البيعة بولاية العهد فتمت البيعة للأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك ونائبه فى الرياض .

اليمن

والحكم فى اليمن إسلامى فى روحه وبعض مظاهره . والإمام هو الحاكم يحكم بمقتضى ما أنزل الله مقيما حدوده وتعاليمه ويشترط فى الإمام حتى تصح بيعته بالإمامة .

أن يكون ذكراً مكلفا مجتهداً علويا فاطمياً عدلا سخيا ورعاً سليم العقل سليم الحواس سليم الأطراف صاحب رأى وتدبير مقداماً فارساً .

والإمام ما دام حائزاً على مرتبة الاجتهاد أن يستنبط من الأحكام ما تدعو إليه المصلحة ويطبقها دون وضع قوانين جديدة .

ولاية العهد

لم يكن هذا معروفا عند اليمنيين . وكان كثيرا ما تستيقظ الفتن وتشتعل الحروب وتسود البلاد قلاقل وتفاديا لاشتعال الحروب التى تفرق المسلمين أحزابا وتذهب ريحهم . استنبط الإمام يحيى إمام اليمن السابق مبدأ ولاية العهد والبيعة عليها . واختار إبنه أحمد (إمام اليمن الحالى) ولياً للعهد وأخذ له البيعة من العلماء ورؤساء القبائل وأهل الحل والعقد .

أفغانستان

إحدى الحكومات الإسلامية الكبرى فى آسيا الصغرى والشريعة دستور البلاد والسكان متمسكون بدينهم وقوميتهم .

فى سنة ١٩٢٤ وضع دستور لأفغانستان يستند إلى الشريعة الإسلامية ويقع فى ٧٢ مادة جاء فيها :

المادة الأولى : الدولة الأفغانية مستقلة فى إدارة أمورها الداخلية والخارجية وتتألف من أجزائها كل لا يتجزأ خاضع لإدارة جلالة ملك الأفغان .

المادة الثانية : الدين الإسلامى هو الدين الرسمى فلا تعتبر الأديان الأخرى وتحمى الحكومات الجماعات اليهودية والمجوسية التى تعيش فى البلاد ما دامت تحافظ على النظام .

المادة الرابعة : بما أن جلالة ملك الأفغان قد خدم بلاده خدمة عظيمة فالشعب الأفغانى يتعهد بنقل مقام السلطنة إلى نجل الملك الحالى ونجل نجله .. الخ وكلما تبوأ أحدهم عرش السلطنة يجتمع أشراف البلاد فيقسم إمامهم إنه يقوم بإدارة البلاد وفق هذا القانون فى دائرة الشريعة الأحمدية الغراء ويحافظ على استقلال البلاد

على أن نادر شاه عاد فى سنة ١٩٣٠ فوضع دستوراً جديداً يشبه دستور سنة ١٩٢٤ فى معظم مواده ومما نص عليه إنشاء مجلسين مجلس نواب وعدد أعضائه ١١١ ينتخبهم الشعب ومجلس شيوخ وعددهم ٤٠ ويختارهم الملك .

والملك هو القائد العام للجيش وممثل الدولة الأعلى وصاحب النفوذ المطلق فى شئون البلاد ومصدر كل سلطة وهو حامى الدين الإسلامى والساهر على تنفيذ الشريعة الغراء

(ب) النوع الثانى

بلاد شملها الغزو والاستعمار

وأما الصنف الثانى من البلاد التى تعددت بصددها مناهج الغزو وتعددت فيها أشكاله فإن الضغط الشديد والعدوان السياسى والطغيان الاجتماعى لم يمت الروح الاجتماعية الأصيلة إن لم يكن منبها لها حافزاً على انتعاشها فستنفجر الرغبات الاجتماعية الحقيقية فجأة وعدم ظهورها الآن وعدم سيادتها ليس موتا وإنما كبت يدفعها إلى السريان فى العقل الباطن للجماعة .

وإن كبتاً لرغبة اجتماعية تتفاعل فى العقل الباطن لأشد خطراً من تطور ظاهر لها إذ ستكون سيادتها مصحوبة بثورة قاضية وانقلاب عنيف .

والآن فإن دعاة فى كل مكان يطالبون بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق حدوده وتعاليمه .

فى مصر وسوريا وفلسطين وشرق الأردن

نجد هيئة الإخوان المسلمين منتشرة بين الناس فى القرى كما فى المدن وفى النجوع كما فى القرى . . على أسس من التنظيم الإدارى والمالى وعلى قواعد من التقدم المنهجى يكفل لها الارتقاء والثبات .

رقة ونظام

الأعضاء العاملون ينظمون فى أسر والشعبة تضم أسر القرية والمنطقة تشرف على شعب المركز والمكتب الإدارى يشرف على مناطق الإقليم (المديرية) ويشرف على المكاتب الإدارية مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وبمكتب الإرشاد لجـــان مختصة لكافة شئون النشاط

الاجتماعى والثقافى والسياسى والاقتصادى تعالج المشاكل القائمة فى العالم الإسلامى بوجهة النظر الإسلامية فثبت للناس أن الإسلام الذى انكمش حتى اقتصر على صلاة وصيام قادر على الانتشار فى كل شئون الحياة وله فى كل منها تعاليم وحدود .

عمل وإنتاج

والإخوان قد ملأوا القطر نشاطاً فمن وعظ وإرشاد حتى اشتهروا بحلاوته وجدته ، افتتحوا المدارس تدرس إلى جانب البرامج المصرية برامج إسلامية تصبغ الأطفال والتلاميذ بصبغة الله وتنشئهم على التعلق بالإسلام دين الله المختار لسعادة الدنيا بأكملها وأنشأوا المستشفيات تعالج الفقراء بالأجر اليسير يعمل بها أطباء نماذج فى الإخلاص والدقة .

كما أنشأوا الشركات التجارية والصناعية باسم الله تتعامل وفق الحدود التى حددها الإسلام وبالأمانة التى حض عليها الرسول والرحمة التى تميز خلق المسلمين فى الصدر الأول .

وثمة قسم يعتبر من أهم الأقسام وأنشطها ، قسم الاتصال بالعالم الإسلامى ، فلإن كان فى كل قطر دعاة للفكرة

الإسلامية ولإن كان فى كل بلد مؤمنون بالجامعة الإسلامية فمهمة القسم إذن جمع كلمة الدعاة فى كل البلاد والأقطار الإسلامية ، وتوحيد مناهجهم وذلك ما كان ينقص الدعوات الاسلامية فى كل الأقطار منذ أن نشأت فى كل قطر دعوة للفكرة الاسلامية .

ونسبة انتشار دعوة الإخوان المسلمين فى مصر كنسبتها فى كل من سوريا وفلسطين وشرق الأردن .

الباكستان

كان جهاد متواصل بين المسلمين وغيرهم من الطوائف فى الهند وكان قتال وكانت حروب تارة ينتصر المسلمون فيحكمون بما أنزل الله وطورا ينتصر الهندوك فينكمش المسلمون . . وهكذا حتى تم الفصل بين الطائفين كل فى ظل دولة مستقلة .

ولدت الباكستان دولة المسلمين فى الهند فى أغسطس سنة ١٩٤٧ وتعدادها ٨٢ مليونا منهم ١٢ مليونا هندوكيا . وبذلك تعد أكبر دولة مسلمة وخامس دول العالم كله من ناحية التعداد وكثافة السكان .

وفى ٧ مارس سنة ١٩٤٩ تقدم السيد على خان إلى الجمعية التأسيسية العامة باقتراح ملخصه أن يكون كتاب الله وسنة رسوله الكريم أساس الدستور الباكستانى ، فوافقت الجمعية التأسيسية عليه بإجماع الآراء . وحتى كتابة هذه السطور لم يعلن بعد شيء منه . نسأل الله أن يخرج الدستور الباكستانى متكاملا ليوفر على سائر البلاد الإسلامية جهدا عظيما كانت ستبذله كل منها فى هذه السبيل .

والأحزاب فى الباكستان كلها إسلامية وأهمها .

١ — حزب الرابطة الاسلامية ، ويرأسه السيد ناظم الدين رئيس الوزراء .

٢ — جماعة التبليغ ، وهدفها تفقيه الناس فى شئون دينهم وإرشادهم سواء السبيل .

٣ — الجماعة الإسلامية ولها فى كل بلد فرع وفى كل إقليم لجنة تنشر فى دقة ونظام وتدعو فى عنف وقوة . لم تترك بابا من أبواب الدعاية للدعوة إلا ولجته ، فمن كتب تترجم إلى أخرى تؤلف إلى محاضرات تلقى ومقالات تنشر . والجماعة الاسلامية تمثل الرأى العام الذى تطالب فى حماسة وتطرف بسرعة الأخذ بالإسلام ويرأسها السيد أبو الأعلى المودودى .

أندونيسيا

فى سنة ١٩١٢ كان المسلمون فى أندونيسيا أذلة على كثرتهم ، ضعفاء على عددهم ، فى قلوبهم وهن وفى نفوسهم ضعف فقراء من فرقة مستضعفين من تفكك ، ثروتهم فى أيدى الأجانب وأرباحهم لأيدى الغرباء .

فتكونت أول ما تكونت شركة إسلام وكان هدفها أولا تحسين حال المسلمين اقتصـــاديا ثم تحولت إلى حزب سياسى .

كذلك تكونت فى الوقت نفسه الجمعية المحمدية وهدفها علاج حال المسلمين باصلاح نفوسهم أولا بالتعليم ، ثم إقامة حياتهم على أساس من كتاب الله وسنة رسوله ، وللجمعية المحمدية الآن أكثر من ١٢٥ مدرسة، كما أن لها فرعا نسائيا يسمى الجمعية العائشية ، وفرقة كشافة اسمها حزب الله .

حزب دار الإسلام

ولما أحس المسلمون بحقهم فى الحياة جاهدوا فى سبيل حريتهم واستقلالهم ، فكانت حروب وثورات أوقفتها هدنة رانفيل التى تم الاتفاق فيها بين الهولنديين والجمهوريين

على سحب القوات الأندونيسية من جاوة الغربية . وهنا ثار رجال حزب دار الإسلام بزعامة « كارتو صويريو » يعلنون الحرب المقدسة على الكفار الهولنديين . والحكم بما أنزل الله من شرائع وتعليمات وحدود، يعتصمون بالجبال والوهاد ، يختبئون فى الأحراش والغابات ، ينفرون خفافا فى سبيل الله .

مجلس شورى المسلمين

ولما نالت أندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٥ اجتمع مندوبو الهيئات الإسلامية فى مؤتمر قرر تأليف مجلس شورى المسلمين وأهم أهدافه :

١ — العمل على إعزاز الإسلام

٢ — إيقاظ الوعى القومى بتأليف جيش المتطوعين « حزب الله » وتنظيم حركات الشباب المسلم فى حزب « ما شومى » ومن حزب ما شومى نصف الوزراء ورئيسهم

ليبيا

استخلصت ليبيا استقلالها بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ وتوج صاحب الجلالة إدريس السنوسى ملكا عليها فى ١٩٥١/١٢/٢٤ . وجلالته ابن السيد المهدى بن السيد المهدى بن السيد محمد بن على السنوسى مؤسس الطريقة السنوسية التى تهدف إلى :

١ — جعل العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه مملكة واحدة على رأسها خليفة واحد ، وهذه المملكة العظمى يرتبط بعضها ببعض بالجامعة الإسلامية الكبرى .

٢ — أن تحرر المسلمين السياسى من ربقة السيطرة الغربية ينبغى أن تسبقه تربية روحية إسلامية يأخذ فيها المسلمون أنفسهم بالتوبة والربانية والاتصال بالله .

٣ — وإلى جانب التربية الروحية ينبغى أن يربى المسلمون تربية عسكرية يدربون فيها على الرماية والكر والفر .

٤ — تربية عملية اقتصادية لتحسين أسباب المعايش وتوفير وسائل الكسب .

على هذه المناهج الأربعة نشط السيد محمد السنوسى

فى نشر الدعوة ، وشيد أول زاوية على جبل بالقرب من « درنا » عرفت بالزاوية البيضاء . وزوايا السنوسيين مقامة بالحجر وتشتمل على مسجد ومدرسة واستراحة وحجرات للأعمال الإدارية ومخازن للغلال . وبكل زاوية مقدم هو القيم عليها ، وهو الذى يتولى شئون القبيلة ويفصل فى الخصومات ويبلغ الأوامر الصادرة من السيد السنوسى ، ويليه وكيل الدخل والحرج وينظر فى كافة الشئون الزراعية والاقتصادية ، ويتبرع كل فرد من أفراد القبيلة بحراثة يوم وحصاد يوم ودراسة يوم فى أرض الزاوية ، وبذلك يسهل عمران الزاوية دون نفقات كبيرة . وهناك الشيخ الذى يقيم الصلاة فى مسجد الزاوية ، ويعلم أحداث القبيلة القراءة والكتابة ، ويعقد عقود الزواج ويصلى على الجنائز ، وتزيد الزوايا فى ليبيا على ٣٠٠ زاوية .

واعتاد السنوسيون أن يخصصوا يوم الخميس للعمل بالأميرى ، فيتركون فى ذلك اليوم الدروس كلها ويشتغلون بأنواع المهن من بناء وتجارة وحدادة ونساجة وغرس للأشجار ، وكانوا يجلبون كافة أصناف الأشجار من أقاصى البلدان إلى بلادهم فلا تجد زاوية إلا وبها بستان أو بساتين

وكان الطلبة يطلبون من السيد محمد السنوسى أن يعلمهم الكيمياء فيقول لهم : « الكيمياء تحت سكة المحراث ، الكيمياء هى كد اليمين وعرق الجبين » وكان رضى الله عنه يشتغل مع مريديه مشجعاً قائلا : يظن أهل الأوريقات والسبيحات أنهم يسبقوننا عند الله لا والله ما يسبقوننا » . كما اعتادوا أن يخصصوا يوم الجمعة للتمرينات على الحرب من طراد ورماية ، وكان يجيز شيخهم الفائزين من مريديه وطلبته جوائز ذات قيمة ترغيباً لهم فى فضائل الحرب والجهاد فى سبيل الله .

وبهذه المناهج الروحية والعسكرية والعملية لم تلبث الطريقة السنوسية أن امتدت وانتشرت وعظمت وخرجت رجالا مؤمنين بالفكرة الإسلامية يقاتلون فى سبيلها وليس ببعيد حربهم مع الطليان والفرنسيين وتدويخهم إياهم .

أسأل الله أن يتابع جلالة الملك طريقة آبائه فيحذو حذوهم ويكمل بناءهم ويسلك مسلكهم وينفع به الفكرة الإسلامية ، وما نحسبه بإذن الله إلا حريصاً على التراث الذى به ظهر وتأمر .

إيران

تستولى الفكرة الإسلامية فى أيامنا هذه على الوعى القومى فى إيران ، وقائدها هو الزعيم الروحى السيد أبو القاسم الكاشانى ، يلوذ به الإيرانيون فى ملماتهم ويستشيرونه فى قضاياهم . بفضله وفضل التفاف الشعب حوله تحققت مطالب الايرانيين .

أما بقية البلاد الإسلامية فشعوبها لا تزال على فطرتها . فى نفوسهم صفاء وفى قلوبهم إيمان يلبون ، دعوة الداعى إن دعا يسارعون بإذن الله إلى الجهاد والاستشهاد . هذا فضلا عن انتشار الطرق الصوفية ، وأشهرها الطريقة الرحمانية ومؤسسها محمد بن عبد الرحمن وأتباعها يربون على ٢٠٠ ألف ، والتجانية وأتباعها يزيدون على الأربعين ألفا ، والقادرية والدرقاوية والنقشبندية والشاذلية وكلها تتعصب للاسلام وللحكم بما أنزل الله . ولمشايخ الطرق نفوذ عظيم ومكانة لا تدانيها مكانة عند جميع الأهالى . وإن العلماء والمدرسين والمفتين والقضاة لا يكادون يكونون شيئاً بالقياس إلى مشايخ الطرق .

فى تركيا

وفى تركيا الآن تيار تحسه همساً على ألسنة الشباب وأملا يبرق فى أفئدتهم ورجاء فى أن تعود لتركيا زعامتها الإسلامية، فتوحد كلمة المسلمين وتجمع أمرهم . ولاشك أن هذا الهمس سيصير يوماً كلاما ففعلا ، وسيخرج الأمل المكتوم ليصير حقيقة نبصرها ونسمعها .

فى تركيا الآن تيار تحسه أسفا على الأيام التى مرت من عمر الأتراك بعيدين عن الإسلام ، وتبرماً من تقاليد الغرب وأفعالهم .

تحليل ونتيجة .

مما سبق نستطيع أن نقرر :

١ — أن الحركة الإسلامية منتعشة فى كل أمم الشرق الإسلامى وبعضها سادت الحركة وحكمت وفى الأخرى فى طريقها إلى السيادة والحكم . فى بعضها تكون وعيا شعوريا يدفع ويوجه فى عنف وقوة وفى بعضها تكون وعيا لاشعوريا يبدو واضحا فى تبرم الأفراد وقلقهم فى واقعهم .

٢ — أن الحركة فى كل أمة نشأت مستقلة عن الأخرى فى مصر أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين غير متأثر

بالسيد أبو الأعلى المودودى . فى إنشائه للجماعة الإسلامية . وآية الله الكاشانى فى إيران لما أنشأ فدائيان إسلام كان أغلب الظن مستقلا عن الإمام السنوسى فى إنشائه للطريقة السنوسية فى ليبيا .

٣ — أن الحركات الإسلامية فى كل البلدان متشابهة المناهج والخطط .

نتيجة

إن فكرة معينة تظهر وتسود فى جملة أقطار بنفس الغاية ونفس المنهج تظهر تلقائية فى غير ما تأثر الواحدة بالأخرى لتدل بلاشك ودون أدنى ريب على أنها الرغبة الأكيدة فى مجتمعات هذه الأقطار ، وسيادة الفكرة فى بعض الأمصار ليدل على سيادتها فى الأخرى ، فالعوامل الاجتماعية كثيرة مختلفة ، قد تسرع بالفكرة إلى السيادة فى أمة وتبطىء بها فى الأخرى . لكنها لن تموت أبدا ما دامت تمثل الإرهاص الحقيق للنظام القادم .

إذن سيسود الإسلام بلاد الشرق الإسلامى فى المرحلة القادمة للتطور .

الخاتمة

والآن لا يسعنى أمام هذا البحث بمنهجيه وما انتهيت إليه من نتائج إلا أن أقرر من فى عقيدة وأن أجزم فى إيمان أن الإسلام قد قرب حكمه ، وأن القرآن قد دنا اعتباره دستورا ، وأن الإسلامية ستعود فى المرحلة القادمة من التطور لا فى مصر وحدها بل فى جميع بلاد المسلمين فلأن كانت الكتلة الشرقية تؤمل خيرا فى بلادنا ، ولأن كانت الكتلة الغربية ترجو ذلك أيضا . فليودعوا هذا الأمل فى هدوء واطمئنان ، ما دام قد تحددت على ستار المستقبل القريب معالم النظام الجديد .

عوامل تساعد على سرعة سيادة الفكرة الإسلامية فى الشرق

١ — أن يبتعد أصحاب الفكرة الإسلامية قدر الإمكان عن الحركات القومية التى بينا سابقا أنها منهج من مناهج المستعمرين لصرف المواطنين حتى عن مجرد التفكير فى

الجامعة الإسلامية إلا إذا كانت الحركة تمهيدا ومنهجا يوصلهم إلى غايتهم .

٢ — العمل على الارتباط الوثيق بين القائمين بالدعوة فى كل بلد إسلامى وحيث أن أصحاب الدعوات فى كل قطر يكونون الفئة الواعية من الشعب فيتكون لدينا عند الارتباط بمجموعة شـــعبية ضخمة تستطيع أن تدفع حكوماتها إلى :

(ا) إباحة الهجرة والانتقال من البلاد الإسلامية دون قيد أو شرط كأنها المدن المختلفة للوطن الواحد .

(ب) رفع الحواجز الجمركية من البـــلاد والأقطار الإسلامية ما أمكن فتنتعش التجارة والمبادلة ويتم التآخى والتحاب فى أقوى صوره .

وسواء طالب أصحاب الفكرة الإسلامية بذلك أو لم يطالبوا فإنها بلا شك ستكون أولى المشروعات التى تضطر الحكومات إلى تنفيذها تحت ضغط الأحوال الاجتماعية إذا ما تم الترابط المنشود بين دعاة الفكرة الإسلامية فى مختلف الأقطار .

فهرست

الصحيفة

(ا) المجتمع وظواهره : ٥

الظواهر الإجتماعية وسلطانها . سقراط وإعدامه . روبرت أوين ونفيه . اينشتين وإهمال لغته . نتائج خطيرة .

(ب) الإصلاح الإجتماعى : ١٣

المجتمع كل شىء . الفرد كل شىء . توفيق بين النظريتين . نتائج .

(ح) الارهاصات : ١٩

زيد والرسول الكريم والنظام الإسلامى

كارل ماركس ولينين والنظام الشيوعى فى روسيا

أفكار المفكرين قبل الثورة الفرنسية والنظم التى سادت بعدها .

(ء) مناهج البحث : ٢٩

مع الزمن فى بعينه مكان بعينه المنهج الدينا ميكى

مع المكان فى زمن بعينه المنهج الاستاتيكى

الصحيفة

(هـ) مع الزمن : ٣٢

ارهاصات عودة الإسلام فى مصر .

(ا) السيد جمال الدين الافغانى دعوته وجهاده وطرده

(ب) الإمام محمد عبده جهاده . نفيه . والعروة الوثقى

(حـ) السيد رشيد رضا والمنار

(ء) الإمام الشهيد حسن البنا الإخوان المسلمون . جهادهم . مقتل المرشد .

(هـ) المرشد الجديد حسن بك الهضيبى وعودة الإخوان نتيجة عودة الإسلام وحكمه فى مصر .

(و) مع المكان : ٧٧

تمهيد سياسة المستعمرين . مشكلة الأقباط . جامعة الدول العربية . دولة إسرائيل — تضامن استعمارى . الغزو الاجتماعى . تحليل .

بلاد على فطرتها . المملكة العربية السعودية . اليمن . أفغانستان .

بلاد شملها الغزو والاستعمار .

فى مصر وسوريا . الإخوان المسلمون . شعبة منطقة

مكتب إدارى . مكتب إرشاد فى الباكستان . الشريطة الإسلامية . والجماعة الإسلامية . جماعة التبليغ . دستور إسلامى فى أندونيسيا . شركة إسلام المحمدية . دار السلام . مجلس شورى المسلمين .

فى ليبيا . السنوسيون زواياهم المقدم الوكيل الشيخ عمل الخميس . عسكرية الجمعة .

إيران السعيد أبو القاسم الكاشانى .

بغية الدول . الطرق الصوفية . تركيا أسف وتبرم .

تحيل ونتيجة . الإسلام سيعود فى الشرق الإسلامى . الخاتمة . عوامل تساعد على سرعة سيادة الفكرة الإسلامية فى الشرق .

297:Sa27aA:c.1
السيد ،نصر الدين محمد
عودة الاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005277

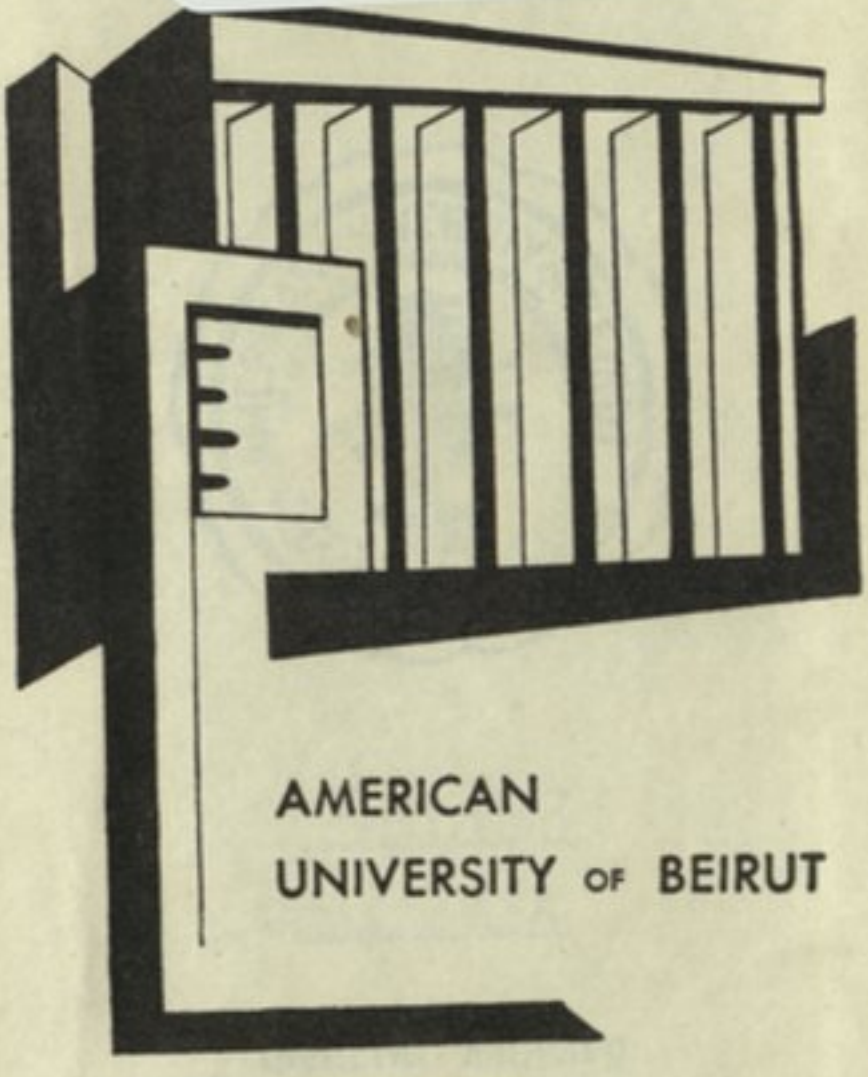

AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297
Sa27aA
C.1